إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه . أما بعد :

فإن مباحث المعتقد مباحث مهمة ، وذلك لأدلة عديدة ، ولأسباب كثيرة ، ومن ذلك :

أولاً : أن أساس هذه الملة ، وما يتعلق بأمور الاعتقاد . فلو وُجِدَ من التزم بأحكام فروع هذه الشريعة ، لكنه لم يلتزم بعقيدتها لم ينفعه ذلك عند الله تعالى ، ومن هنا كانت الأسئلة على العبد يوم القيامة .

ثانياً : الأسئلة على العبد في القبر متعلقة بمعتقده ، من ربك ، وما دينك ، من نبيك ؟.

ثالثاً : أن النبي ﷺ لبث في مكة عشر سنين ، لا يدعو إلا إلى التوحيد ، و لم يُخاطب بالصلاة إلا قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وما ذاك إلا لأنه هو الأساس الذي يُنطلق منه .

ويدلك على أهمية أمر المعتقد ارتكاز دعوة الأنبياء & على هذا الأساس وانطلاقهم منها ، فكل نبي يقول لقومه : ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ . ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ هود: ٢. قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦ .

ويدلك على أهمية الاعتناء بجانب المعتقد أنه هو الفطرة ، التي فطر الله ﷻ الناس عليها ، ولذلك ورد في الحديث القدسي أن الله قال : ((خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ)) . وفي الحديث الآخر : ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ وَيُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)) . و لم يذكر الإسلام لأنه هو الفطرة ، وأصل الاستسلام الانقياد لله بالتوحيد .

كان الناس يكتفون بالآيات القرآنية ، التي تُتلى عليهم ، فيأتي الداعية يدعو إلى الله ، يتلو على الناس آياتٍ من القرآن فيما يتعلق بتقرير إفراد الله بالعبادة ، فتكون مشتملة على الحجة الشرعية ، والدليل العقلي ، الذي تُذعن له العقول السليمة .

وتتكرر هذه الحجج في القرآن بصيغ متعددة ، وبأساليب متنوعة ، والشياطين تحرص على طمس العباد لئلا يفقهوا هذا الكتاب كما قال تعالى :

﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾الأنعام: ٢٥ . ﴿ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ ﴾فصلت: ٤٤ .

ومن هنا حرص أهل العلم على التأليف في أمور المعتقد ، لعدد من الأمور :

السبب الأول : مخاطبة الناس بأساليبهم المعتادة في كلامهم ، ليكون ذلك أدعى لفهمهم الحجة والدليل .

السبب الثاني : جمع ما يتعلق بالموضوع الواحد في محل واحد . بعد أن كان في القرآن والسنة متفرقاً ، بحسب أسباب النزول ، وسياق التنزيل حرص أهل العلم على جمعه ، ليكون بعضه معيناً على فهم بعضه الآخر . فإن من أكبر أسباب الضلال عدم جمع النصوص ، بحيث يأتي للإنسان فيُنَزِّله على غير منزلته ولا يلتفت إلى غيره من النصوص ، فتأتي الآية للعبد فلا يفهمها ، وتشتبه معانيها عليه ، فينزلها على غير مراد الله منها ، ومن ذلك مثلاً عندما يستدل الوعيدية ... بمثل قوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾البقرة: ٢٧٦ . وبمثل قوله سبحانه : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾النساء: ٩٣ .

عندما ينظرون إلى مثل هذا الدليل قد ترد عليهم الشبهة بتكفير أهل الكبائر ، لكن إذا ضُمَّت هذه الآية إلى غيرها ... الآيات التي تتكلم عن مثل هذا الأمر انجلت الشبهة ، في مثل قوله سبحانه : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾البقرة: ١٧٨. فسماه أخاً مع كونه قاتلاً ، وفي مثل قوله سبحانه : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾الحجرات: ٩ – ١٠. فانظر مع وجود الاقتتال إلا أنه حكم عليهم بالإيمان ، وحكم لهم بالإيمان .

السبب الثالث : وجود الشبهات والضلالات في العصور التي بعد عصر النبوة ، فاحتاج علماء الشريعة إلى رد هذه الضلالات .

والرد على الضلالات في الأمور الشرعية من فروض الكفايات ، وقد نفع الله تعالى بعلماء أهل السنة والجماعة في رد البدع والضلات نفعاً عظيماً ، وذلك لعدد من الأمور :

أولها : أنهم ينطلقون في معتقدهم وفي ردودهم من الكتاب والسنة . والكتاب والسنة تُذعن لهما النفوس المؤمنة ، وفيهما الحجج العقلية المقنعة ، والبراهين النقلية الواضحة ، بخلاف غيرهم من أهل البدع ، فإنهم ينطلقون في ردودهم من مصادر أخرى ، بعضهم ينطلق مما يُسمى بالمعقولات ، يقولون : أمور المعتقد تُبنى ... لأن العقل هو أصل النقل ، وبعضهم ينطلق مما يزعمه من الكشف والإلهام ، وبعضهم ينطلق من الذوق ، إلى غير ذلك من المصادر التي تُبعد الناس عن الوحي كتاباً وسنة ، والكتاب والسنة يجب اتباعهما ، حتى في أمور المعتقد ، ولعله يأتي لها بحث فيما يأتي .

ثانيها : أنهم يردون البدعة بسنة ، بخلاف غيرهم فإنهم يردون البدعة ببدعة . ومن المعلوم أن البدعة ليست ضلالاً محضاً ، وإنما هو حق مخلوق بباطل ، إذ لو كانت ضلالاً وباطلاً من كل جهة لنفرت منها النفوس ، ولذا ذكر الله تعالى عن أهل الديانات الأخرى بأنهم يلبسون الحق بالباطل ، فهم يظهرون الحق ... فيروج على النفوس .

ثالثها : أنهم يجتنبون المتشابه من القول . فالألفاظ والأقوال والجمل التي تحتمل معاني متعددة يتوقفون عن ... إثباتاً ونفياً ، ويكتفون بما ورد في النصوص الشرعية .

ومن المسائل المتعلقة بالردود : هل الأنسب أن يُذكر المردود عليه ، أو أن الأنسب أن يُبَيَّن الحق ويُوضح ، ويُدمغ الباطل ، وتُرد شبهاته بدون ذكر أصحابه ؟.

وهذه من المسائل التي بُحِثَت من العصور الأول ، وللعلماء فيها منهجان ، أظهر المنهجين وأحسنهما إغفال المخالف وعدم ذكره ؛ وذلك لعدد من الأمور :

الأمر الأول : أن طريقة الكتاب والسنة في رد البدع إقامة الدليل على الحق ، وإيراد الشبهة ، والجواب على تلك الشبهة بدون ذلك قائلها .

الأمر الثاني : أن في ذكر اسم المردود عليه رفعاً لشأنه ، وإعلاء لمترلته ، وإبقاء لذكره . فإن الله تعالى يُبقي ذكر أهل السنة ، ويجعل الناس على مدى القرون يستفيدون من علمهم ، وهذا بركة من الله سبحانه بسبب التزامهم بالسنة ، فعند ذكرهم لأسماء المبتدعة تبقى أسماؤهم ... ولذلك لو نظرت إلى أسماء المبتدعة ، الذين كانوا في العصور الأولى وجدت أنهم لم يخلد ذِكْرُهم إلا لأن الأئمة ذكروهم ، ولو بحثت عن تراجم دقيقة لحياتهم لم تجد ذلك ، لو بحث عن ترجمة ... الفرد لم تجد له ترجمة ، ولم يبق ذكره إلا لأن الإمام ا لشافعي قد

ذكره في أثناء كلامه ، ومثله ابن أبي داود ، ... المريسي وجعد بن درهم ، إلى غير هؤلاء من المبتدعة

الأمر الثالث : أن الناس يحتاجون إلى إيضاح الحق ، ولا يحتاجون إلى ذكر أسماء أهل الباطل ، فنحن نحتاج إلى بيان الحق وإيضاحه ، والرد على الباطل ، وهذه هي حاجتنا .

الأمر الرابع : أن ذكر أسماء أهل الباطل المردود عليهم قد يكون عائقاً في وجوههم ، ووجه أتباعهم من ترك باطلهم ، فإنه ما اشتهر شخص بأنه صاحب البدعة فإن نفسه قد يصعب عليها ترك تلك البدعة ؛ لأنه يعد انهزاماً ، ويأتيه الشيطان من مداخل مختلفة متعددة ، فعندما يُغفل اسمه نوجد له ولأتباعه مجالاً للرجوع إلى الحق واتباعه .

وفيه فائدة أخرى وهي نفي التعصب مع ذلك الشخص أو له أو ضده ، فعند إغفال ... نغفل باب التعصب ، لأنه عندما يشتهر عن شخص بأنه صاحب بدعة فحينئذ يوجد التعصب ، أناس يتعصبون معه ، فيتركون الحق اتباعاً له ، وأناس يتعصبون ضده ، فيكون الولاء والبراء ليس على أساس التوحيد والإيمان والسنة ، وإنما يكون على أساس موالاة هذا الشخص ومعاداته .

من العلماء الذين كان لهم أثر عظيم في مباحث المعتقد شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد ألَّف مؤلفات عديدة في مسائل المعتقد ، منها ما هو مطول ، ومنها ما هو مُختصر ، فألَّف الكتب الكبار من مثل : (درء تعارض العقل والنقل ، ومنهاج السنة النبوية) وهي كتب عظيمة ، وألف مختصرات في أمور المعتقد تسهل المعتقد للناس .

ومن أعظم ما يحتاج إليه الناس تسهيل أمور العقائد على الخلق ، وتوضيحها ، فإن التعمُّق في الكلام ، والولوج في المباحث العقدية ، التي تصعب ألفاظها وتقل فائدتها ، وإن ادَّعى بعضهم أنه شأن المثقفين إلا أن هذا ليس من

العلم النافع ، فإن نفعه قليل ، لأن التقعّر في الكلام ليس شأن علماء أهل السنة والجماعة ، وليس هو المنهج الذي سارت عليه النصوص الشرعية كتاباً وسنة .

ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة الواسطية ؛ لأن بعض أهل واسط قدم عليه ، وطلب منه أن يكتب مختصراً في أمر العقائد ، يدين الله به ، فكتب هذا المختصر ، وفي وقت شيخ الإسلام كانت العقائد المنحرفة كثيرة ، وأتباعها كُثُر ، كانت لهم مناهجهم وطرائقهم ، و لم يبق على طريقة السلف الأول من الأئمة الأول من الصحابة والتابعين إلا نوادر ، وقد صرَّح بعضهم بأن الكتاب والسنة لا يُستفاد منها يقين ، ولا تُؤخذ منها عقيدة ، وأن المعتقد يؤخذ من العقول ، و لم يلحظوا أن العقول متفاوتة ، وأن العقل تخفى عليه بعض أوجه الحق ، فإنه وإن نظر إلى جانب لكنه يخفى عليه جوانب أُخر ، كما أنهم لم ينتبهوا إلى أن العقول يقع في طرق معرفتها أنواعٌ من أنواع الخداع في التفكير ، إذا كان هناك خداع في البصر كما يرى الإنسان السراب ويظنه ماء ، ويرى القضيب والخشب عندما يُجعل في الماء كأنه منكسر بخداع النظر هكذا أيضاً في العقول

ثم إن الناس تختلف مداركهم في العقل ، ولذلك تجد الإنسان الواحد يجزم صباحاً بشيء ، ويظن أنه مما يقطع به العقل ، ويجزم بضده في آخر يومه ، ومصداق هذا في كتاب الله أن الله تعالى يقول : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢ . أي : تناقضاً وتضاداً . فما كان عند الله فلا تناقض فيه ، وما كان من عند غيره لا بد أن يقع فيه تناقض ، وبقدر سير الإنسان على الكتاب والسنة يقل التناقض والتضاد عنده ، وبقدر ابتعاده عن هذين الأصلين يكثر التناقض والتضاد عنده .

فالشيخ ~ عاش في ذلك الزمان ، وقد انتشرت فيه خرافات ، وشركيات ، وبِدَعٌ ، سواء فيما يتعلق بالعبادة ، أو فيما يتعلق بالصفات ، ومن

هنا ألَّف مؤلفات عديدة في تصحيح عقائد الناس ، بعضها كان بطلب ، وبعضها كان ابتداءً ، ومما ألفه الشيخ هذه الرسالة لتصحيح أمور الناس في توحيد الأسماء والصفات ، لتكون على مقتضى الكتاب والسنة ، ولبيان منهج أهل السنة والجماعة ، ومن هنا تنقسم هذه العقيدة إلى قسمين :

القسم الأول : في إيراد النصوص الشرعية ، الواردة في قضايا المعتقد ، سواء كان من الكتاب أو من السنة .

القسم الثاني : في بيان مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة ، التي أخذوها من النصوص الشرعية كتاباً وسنة .

وهنا سنورد نماذج بحيث ينطلق الإنسان منها إلى معرفة غيرها ، لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر ، فمتى عرفنا المنع والطريقة في بعض الصفات تمكنا بإذن الله من السير على طريقة سواء في بقية الصفات .

شيخ الإسلام ابن تيمية من المعلوم أنه من أئمة الإسلام الكبار ، وهو قد وُلِدَ سنة إحدى وستين وست مئة ، وتوفي سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة ، وشيخ الإسلام قد وقعت بينه وبين مخالفيه مناظرات في مسائل عدة ، منها في مسائل العقائد ، حيث طعن بعض أهل زمانه في عقيدته ، تكلموا به عند ملوك زمانه ، عند الناصر ، اسْتُجْلِبَ من دمشق إلى القاهرة ، وعُقِدَت له مجالس مناظرة ، فأملهم لهم مُعْتَقَدَهُ ، ثم قال : " إن أمليت لكم مُعْتَقَدِي قد تقولون بأنك داهنت فيه ، لكن في بيتي عقيدة مكتوبة ، فأحضروها واقرئوها " . فجاءوا بهذا المتن وقرئوه ، وسألوا عن مواطن منه فأوضحها لهم ، فقنعوا منه أن يقول : هذا معتقد الإمام أحمد . فقال : " بل هذا هو مُعتقد الصحابة والتابعين والأئمة جميعاً ، ولا يوجد له مخالف " . وتحداهم أن يأتوا بما يخالفه من أهل القرون الثلاثة ، وأمهلهم في ذلك ثلاث سنين ، فتكلموا به عند الوالي ، بل طالب بعض المالكية في ذلك المجلس بأن يُجرى عليه أعلى أنواع التعزير ، وأعلى أنواع التعزير عند المالكية القتل ، فرأى الوالي أن يُسجن ، فأُدْخِلَ سجن

القاهرة ، أصبح طلبة العلم يفعلون أسباباً تجعلهم يدخلون السجن ليتعلموا من الشيخ ، فلما رأوا ازدحام الناس على السجن بسبب الشيخ نُقِلَ إلى الإسكندرية ، لأنها في ذلك الزمن لم يكن بها عُمران كثير ، فأرادوا أن يصدوا به عن الناس ، فكان الواحد من الناس إذا أراد في القاهرة إذا أراد أن يتعلم تخاصم مع زميله ، وتغالبا ، وأوقعا بينهما خصومة ، وأُدْخِلا السجن ، أو يقول : ادَّعِ بأن لك دَيْنَاً عليَّ ، وسأُقِرُّ ، وسأطالب بحبسي . ثم بعد ذلك أسبوع أو أسبوعين يأتي ويبرئه من دينه ، فلمَّا نُقِلَ الشيخ إلى الإسكندرية تغلَّب بيبرس الجاشنكير على الناصر ، بعد أن خرج إلى إحدى القلاع في الشام ، فجمع الفقهاء في زمانه ، وكتبوا كتابة بخلع الناصر ، وعدم صلاحيته للولاية ، وبعد سنين قليلة عاد الناصر ، وأخذ الولاية من الجاشنكير ، فجمع الفقهاء الذين قد كتبوا الكتابة السابقة في عزله ، واستجلب شيخ الإسلام ابن تيمية ، يريد منه فيهم لعله أن يفتي بقتلهم ، فلما حضر عنده أثنى عليهم ثناء كثيراً ، فقال : " هؤلاء علماء الإسلام ، وهؤلاء حماته " . وأثنى عليهم ثناء عاطراً عند الناصر ، حتى قال قائلهم : ما رأيت مثل ابن تيمية ، سعينا في سفك دمه ، وسعى في حقن دمائنا . فانظر كيف نصر الله هذا الإمام حتى كان أمر هؤلاء المضادين له في يده ~ .

هذه العقيدة التي قُرِئت في تلك المجالس هي هذه العقيدة التي بين أيدينا .

الْعَقِيدَةُ الْوَاسِطِيَّةُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :

ابتدأ المؤلف هذه الرسالة بالبسملة والحمد ، اقتداء بكتاب الله ﷻ فقد ابتدأ بهما بقوله : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾الفاتحة: ١ – ٤. والناظر في السنة يجد أن النبي ﷺ كان يبتدئ الكتب والرسائل بالبسملة دون حمد ، ويبتدئ الخطباء بحمد الله بدون بسملة ، والكتب المصنفة والمؤلفة لها شبهٌ بالرسائل والكتب من جهة كونها مكتوبة ، ولها شبهٌ بالخُطب من جهة جمعها للمعاني المتعددة ، وعدم اختصاصها بالمرسل إليه وحده ، فلذلك ناسب أن تشتمل على الأمرين .

والجار والمجرور في البسملة متعلق بمبتدئ محذوف ، أو خبر محذوف ، وهذا الْمُتَعَلَّق لأهل العلم طريقتان في تقديره ، فمنهم من يقول : نقدِّرُه بفعل أو اسم مناسب ، كأن يقول : أبتدئ باسم الله ، أو أستعين باسم الله . والمنهج الثاني تقدير جميع المعاني المناسبة ، وعدم الاقتصار على تقدير واحد ، فيقول : بسم الله ، أي متوكلاً ، ومستعيناً ، ومستمداً . إلى غير ذلك من المعاني ، وهذه يسموها عند الأصوليين عموم الاقتضاء ، والمراد في الاقتضاء أن يكون في الكلام حذفٌ يحتاج معه الكلام إلى تقدير ، وللأصوليين منهجان في تقديره ، فمنهم من يقول : نقدِّر فعلاً مناسباً واحداً . ومنهم من يقول : نقدِّر جميع الأفعال المناسبة إلا ما استثناه دليلٌ . والأظهر هو القول الثاني ، فإن الحذف لم يحصل إلا لفائدة ، ومن ذلك تعميم المعنى .

ومن أمثلة هذا قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾المائدة: ٣. فإن أهل التفسير على طريقتين في تفسير هذه الآية وما ماثلها ، فبعضهم يقول : أي حُرِّمت عليكم أكل الميتة . فيحصر التحريم في الأكل ، وبعضهم يقول : أُقَدِّر

جميع الأفعال التي لم يرد دليل باستثنائها . ومن ثم يحرم بيع الميتة ، ويحرم الأكل ، ويحرم سائر الانتفاع بها ما لم يرد دليل باستثنائه

الْحَمْدُ لِلهِ :

الألف واللام هنا إشارة إلى أن الحمد الكامل الذي لا يعتريه نقص ثابت لله وحده ، ليس المراد به أن المحامد لا تكون إلا لله ، بل الناس لا زالوا يحمد بعضهم بعضاً ، ولذلك أثنى النبي ﷺ على بعض أوصاف أصحابه ، كما قال لأشج عبد القيس : ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ : الْحِلْمُ ، وَالأَنَاةُ)) . فهذا حمدٌ لكن ليس حمداً كاملاً ، إما حمدٌ نسبي من جهة ، أما بالنسبة لله تعالى فإننا نثبت الحمد الكامل ، الذي لا يعتريه نقص من جهة من جهاته .

المراد بالحمد الوصف بالأسماء والأفعال الحسنة ، التي لم تقع اضطراراً ، وإنما وقعت اختياراً ، لأن بعض الناس يقول : صفات الكمال تثبت لله اضطراراً . وهذا خطأ لأن فيه نسبةً لله ﷻ ، ويقول : الله عادل لأنه لا يقدر على الظلم . وهذا خطأ ، إنما هو عادل ، وهو لم يظلم أحداً من الناس لكمال عدله .

ومن فضله تعالى على الناس ورحمته به أن أرسل الرسل ، ومن ذلك إرسال محمدٍ ﷺ ، فقال :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الفتح: ٢٨ .

﴿ أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﴾ أي : نبَّأ هذا النبي ، وأرسله لدعوة الناس إلى دين الله

﴿ بِالْهُدَىٰ ﴾ العلم النافع وقال في العلم الهدى ، و لم يحتج إلى وصفه بوصف آخر ؛ لأن الهدى هو العلم النافع ، إذا كان عند الإنسان جهالة فليست هذه من الهدى ، وإذا كان عنده علمٌ لكنه لم ينتفع به فليس من أصحاب الهداية

﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ الطاعة الصحيحة التي تكون لله ، ويكون العلم هدى إذا اتَّصف بصفات :

الصفة الأولى : إذا كان علماً مطابقاً . أما إذا كان اعتقاداً مخالفاً للواقع فهو ضلالة ، وهو جهل .

الصفة الثاني : أن يكون عند دليل . فأما إذا لم يكن عن دليل فإنه لا يجزم المرء به وبصحته ، وقد يكون هذا الدليل بتقليد المرء لغيره ممن يثق في عقله ودينه إذا كان المقلِّدُ أقل عقلاً ، فيعتمد على فهم غيره وحجة غيره .

الصفة الثالثة : أن يكون جازماً . فإذا كان المرء متردداً في اعتقاده فليس هذا هدى ، بل هذا شكٌّ وريبٌ .

فإن قال قائل : كيف نستجلب الهدى ؟. وهذه مسألة مهمة ، وكثير من الناس غفل عنها ، فوقع في أنواع الضلالات ، فاستجلاب الهدى يكون بطرائق :

أولاً : الاستعانة بالله ﷻ . ولذلك ينبغي بالعبد أن يتدبر ، ويستحضر معاني قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ الفاتحة: ٦ . التي يقرؤها في سورة الفاتحة في صلاته وفي غيرها ، فإن الصراط هو الطريق الواضح المعالم ، والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، وأخصر الطرق ، وأوصلها للمقصود ، ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ : ((**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ ، وَمِيكَائِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ! أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنَا لِمَ اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)) . ولذلك يحسُن بنا جميعاً أن نستحضر هذا الدعاء ، وأن نقوله خصوصاً في صلاة الليل .

ثانياً : الرجوع إلى الكتاب والسنة ، والاستعانة على ذلك بقواعد الفهم الصحيح . وهذا يتطلَّبُ منا عدداً من الأمور ، منها ترك هجرُ الكتاب والسنة ،

فلا بد أن يقرأ الإنسان هذا الكتاب ، ولا بد أن يتدبر فيه ، ويتطلب منا ملازمة السنة ، وقراءهما ، وإعادهما ، فيتطلب منا ربط جميع معلوماتنا بهذين المصدرين . فكل معلومة شرعية تراجعها وتربطها بدليل من الكتاب والسنة .

ثالثاً : النظر في أقوال السلف الصالح . فإن الله قد أعطاهم من الفهم للكتاب والسنة ما لم يصل إليه مَن بعدهم ، وهم أهل اللغة ، الذين يفهمون هذين المصدرين على مقتضى لغة العرب التي نزل بها الكتاب والسنة .

رابعاً : مراجعة علماء الشريعة الموثوقين المأمومين من أهل السنة والجماعة ، الذين يرتبطون بالكتاب والسنة ، ويُحَكِّمونهما في القليل والكثير .

وأما القسم الثاني وهي الطاعة لله ﷻ على وفق ما جاء به النبي ﷺ ، ويتمكن العبد من استجلابها بعدد من الأمور :

أولاً : العلم النافع ، والهدى . فإن العلم يورث الخشية .

ثانياً : فعل الطاعة . فإن الطاعات يجر بعضها بعضاً ، ويهدي بعضها إلى بعضها الآخر ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ محمد: ١٧.

ثالثاً : مشاهدة الآيات الكونية العظيمة ، فإنها تورث العبد ديانة ، وخوفاً من الله .

رباعاً : معرفة العواقب . أين أبوك ، وأين جدُّك ، وأين جدُّ جدك ؟. ما وصل إليهم سيصل إليك ، وستُحاسب عن أعمالك قليلها وكثيرها ، وستقف بين يدي الرحمن فتُسأل كما ورد في حديث عدي رضي الله عنه : ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانُ ، فَيَنْظُرَ أَيْمَن مِنْهُ فَلا يَرَى إلاَّ ما قدَّمَ ، وَيَنْظُرَ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إلاَّ ما قدَّمَ ، وَيَنْظُرَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَلا يَرَى إلاَّ النَّارَ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)) .

ولا يستحقر الإنسان القليل من العمل ، ولا يستكثر كثير العمل ، فإن الإعجاب بالعمل يُحبطه ، واحتقار العمل يُزَهِّد المرء فيه فيُحبط أجره .

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾

أي أن هذا الدين لا بد أن يكون ظاهراً ، لتقوم الحجة على الخلق أجمعين ، وقوله : ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. فيه جواز تسمية الأديان الأخرى بهذا الاسم (الدين) ، فإن بعض أهل العلم قال بأن اسم الدين لا يُطلق إلا على الإسلام ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ . والصواب جواز إطلاق هذا الاسم لقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ . ولقوله سبحانه : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾الكافرون: ٦ . وأما قوله : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾آل عمران: ١٩. هذا ليس المراد به أنه لا يُسمى ديناً إلا الإسلام ، وإنما المراد أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام .

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

أي أنه سبحانه شاهد على ظهور هذا الدين من جهة ، وشاهد على كون هذا الرسول قد أُرْسِلَ بالهدى ودين الحق ، ففي هذا وعدٌ صادق من الله ﷻ بإظهار أهل المعتقد الصحيح ، وقد دل على هذا نصوص كثيرة كما في قوله : ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾محمد: ٧. وكما في قوله : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾غافر: ٥١. وكما في قوله : ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾آل عمران: ١٥٠ . ومن كان الله مولاه فإنه سينصره ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾آل عمران: ١٦٠ .

وَأَشْهَدُأَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَاراً بِهِ وَتَوْحِيدَاً :

أي : أقر وأعترف ، كأنني أشاهد ذلك بعيني ألا معبود بحق إلا الله .

وهذا يتضمن أمرين : الأمر الأول : إقراري ، بالشهادة لله بالألوهية وحده دون من سواه . والثاني : عملي ، بألا يصرف شيئاً من العبادات لغير الله .

وفيها إثبات ونفي ، نفي الألوهية الحقة عن غير الله ، وفيها إثبات الألوهية الحقة لله وحده ، وقد أشار إلى الأمرين السابقين الإقرار التوحيدي والعملي بقوله : إقراراً به وتوحيداً .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ :

ففيه مخالفة لمن أنكر الرسالة عن هذا النبي الكريم ،ومخالفة لمن نفى العبودية عنه ﷺ ، والعبودة لله شرَفٌ وعزٌ ورفعة ، ولذلك ذكر الله تعالى نبيه محمداً بوصف العبودية في أعلى المقامات ، فقال : ﴿ **سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ** ﴾الإسراء: ١. وقال : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ** ﴾الحديد: ٩ . في إنزال القرآن .

وَرَسُولُهُ :

أي : مُكلف . هذا العبد مُرسل من الله ، مُكلف بتبليغ شريعةٍ من شرائع الله تكون منطلقاً من هذا النبي ، فإن الرسول يأتيه وحيٌ من الله بشريعة جديدة ، فيبلغها للناس ، وقد تُنسب هذه الشريعة لله تعالى فيقال : شريعة الله . باعتبار أن الله هو الذي شرعها ، قال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ** ۚ ﴾الشورى: ٢١. وتُنسب إلى النبي ﷺ باعتبار أنه المختص بتبليغها أصالة .

ومن مقتضى الشهادة بالعبودية إثبات أنه بشر ، ومن مقتضى الشهادة له بالرسالة إثبات أنه يتميز عن بقية البشر بأنه يُوحى إليه ، ويترتب على هذا أن

نُصدق هذا النبي ، وأن نطيعه ، وألا نعبد الله إلا بما جاء من طريقه ، وأن نُوَقِّره ونحبه محبة أعظم من محبتنا لأنفسنا وأهلنا ووالِدِينَا والناس أجمعين .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ :

الصلاة يُراد بها أصالة الثناء ، والذكر الجميل هذا الأثر .

وَعَلَى آلِهِ :

المراد بالآل للعلماء فيه قولان : قولٌ يقول بأنه كل تابع تقيٍّ له فهو من آله . وهذا هو المراد بقوله تعالى : ﴿ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾غافر: ٤٦. وآل فرعون أتباعه ، ولهذا لم يدخل الرجل المؤمن فيهم بهذه الآية ، وقال طائفة : المراد به ذريته أو قرابته . واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾غافر: ٢٨ . مع أنه لم يكن من أتباعه .

وَصَحْبِهِ :

المراد بالصحب من لزم النبي ﷺ مدة ، مؤمناً به . فإن قال قائل : الأحاديث لم يُذكر فيها الصلاة على الأصحاب ، فكيف تُصلون عليهم ؟.

والجواب عن أن الله تعالى يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾الأحزاب: ٤٣. فأثبت الصلاة ، ثم إن النبي إنما خصَّ الصلاة به وبآله في مكان مخصوص ، وهو التشهد الثاني ، وعليه فإننا في التشهد الثاني نقتصر على الوارد ، ولا نأتي بزيادات ، ولا نصلي على الأصحاب في التشهد الثاني ، أما الصلاة في غير ذلك الموطن فلا بأس من أن نصلي على الأصحاب .

وَسَلَّمَ تَسْلِيْمَاً مَجِيداَ.أما بعد :

الأظهر أن المراد به من السلام ، أو من السلامة .

فَهَذَا اعْتِقَادٌ :

المراد بالاعتقاد هو الأمر القلبي الجازم ، سُمِّي اعتقاداً كانه قد رُبِطَ القلب عليه ، يقال : عقد الحبل ، وضع فيه عقدة . بمعنى ربطه ، فهكذا القلب عندما يُربط على تصديق معين يقال له : اعتقاد .

الْفِرْقَةِ :

الفرقة القسم من الناس ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ التوبة: ١٢٢ . وهنا ورد في الحديث : ((**تَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**)) . فقوله : ثلاث وسبعين فرقة . فيها إشارة إلى أن هذه فرقة من الفرق .

وبعض أهل العلم يقول : لا ينبغي أن نسمي أهل الحق بهذا الاسم ؛ لأن الفُرقة اسم مذموم في الشرع ، وأهل السنة سائرون على الحق باقون عليه ، والمفارق هو التارك للحق ، وهؤلاء لا زالوا عليه . ولذلك يرون أن الأنسب إطلاق لفظ الطائفة ، والجماعة ، ونحو ذلك .

النَّاجِيَةِ :

تنجو من دخول النار ابتداء ، لأن النبي ﷺ لما ذكر أن هذه الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، قال : ((**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**)) . فهذه الواحدة هي الناجية .

وليس المراد بهذا أن بقية الفرق تُخَلَّد في النار كما هو اعتقاد الوعيدية ، وإنما هذه الفرق إذا لم يكن في اعتقادهم مُخرِجٌ من دين الإسلام فإنهم يُعَذَّبُون في النار مُدة ، ومآلهم إلى الجنة ، وقد يعفو الله عنهم ابتداء بكرمه ومنّهِ ، وبشفاعة الشافعين .

الْمَنْصُورَةِ :

أي أن الله ينصرهم في الدنيا ، كما تقدم بيان عدد من النصوص الدالة على أن الله ينصر أهل الحق ، وإذا نظرنا في النصوص السابقة وجدنا أنها تُعَلِّق نصر الله على الإيمان ، فلم تكتف بوصف الإسلام ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١ .

ومن خصائص أهل الإيمان أنهم يعتقدون المعتقد الصحيح ، فقد جاء في حديث جماعة من الصحابة في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : ((لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقّ مَنْصُورَةً – بلفظ : ظَاهِرِينَ – لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)) . انظر كيف سماهم طائفة ، ووصفهم بصفتين : أنهم ظاهرون ، وأنهم منصورون . بمعنى أنه لا بد أن يكون في كل عصر من يقيم الحجة على الناس ، فيظهرهم الله ليقيموا الحجة ، وقد يتعرضون لشيء من الابتلاء والاختبار ليظهرهم الله ﷻ ، وليمكنهم في الأرض بعد ذلك ، هذه سُنَّةٌ .

ويدلك على أن أهل الحق قد يعترضهم ما يعترضهم من الابتلاء والاختبار حال النبي ﷺ ، فقد بقي في مكة سنين عديدة لم يؤمن معه إلا النزر اليسير ، ثم بعد ذلك انظر كيف نصره الله تعالى ، وانظر في أمورٍ قد تستغربها العقول ابتداء ، يأتيه سراقة بن مالك – إن صح الخبر – ويعده بفتح كسرى وبلاد الروم والنبي يطارده أهل مكة ليأتوا به حياً أو ميتاً ، وفي غزوة الخندق اجتمع أهل الكفر ليستأصلوا الإسلام وأهله ، ليس مرادهم المال ، ولا مرادهم الغنائم ، ولا مرادهم أن يكون لهم سلطة لا ، بل مرادهم القضاء على الإسلام وأهله ، حتى وصف الله تعالى حالة المؤمنين بقوله : ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ الأحزاب: ١٠ – ١١. وتعترضهم صخرة في الخندق فيضربها ﷺ ، ويقول : ((اللهُ أَكْبَرَ)) . ويعد أصحابه بفتح المدائن ، مدائن كسرى وقصور

قيصر وهم في ذلك الحال ، حتى إن المنافقين يستهزئون بالمسلمين ، يقول قائلهم : ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الأحزاب: ١٢ . وبعد سنوات قليلة عشر سنوات تُفتح ، والعشر سنوات إذا نظرت إليها أنت من سنك وجدَّت أنها قد مضى سنِّك عشر سنوات كأنها يومٌ واحد فليست بشيء .

والإسلام قد جاء أهله من الابتلاء ما ليس في زماننا الحاضر ، في هذه الغزوات سواء لما كان المسلمون في مكة أو في بدر ، عندما يقول ﷺ : ((إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعُصَابَةُ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ)) . وفي أحد حينما جاءوا بأعداد وفيرة ، ووقع ما وقع فالخوف على الإسلام وأهله في ذلك العصر أكثر من الخوف على الإسلام وأهله في عصرنا الحاضر ، وإذا نظرت في بعد وفاة النبي عندما وقف الاختلاف في مدينة بني ساعدة ، هذا في المدينة ، والعرب ارتد أكثرهم ، و لم يبق على هذا الدين إلا قلائل ، والروم قد طمعت في الإسلام وأهل الإسلام ، هذا وقت عصيب على الإسلام وأهل الإسلام ، لم يصل المسلمون في عصورنا الحاضرة إلى تلك الحال ، ومع ذلك في سنوات قليلة ينقلب حال أهل الإسلام لأنهم متمسكون بدينهم ، ومن ثَمَّ فنُصرة الله لهذه الطائفة أمر مُشاهد ، وإذا نظر الإنسان إلى أحوال أهل السنة وأحوال أهل البدع وجد أن بينهم فروقاً كثيرة يُمكن أن نجملها فيما يأتي :

أولاً : أن أهل السنة عندهم من اليقين والثبات ما ليس عند غيرهم .

تجد المبتدعة عندهم من التردد والشكوك ، وكلما ازداد الإنسان في التعمق في علم بدعته كثُرت الشكوك عنده ، ولذلك تجد أرباب هذه الفرق لولا ما يستفيدونه من أمور دنيوية من مال ، أو شهرة ، أو نحو ذلك لتركوا طريقتهم ، لأن عندهم من الشك والحيرة الشيء الكثير ، بخلاف أهل السنة والجماعة فكلما ازداد الإنسان منهم علماً ازداد بصيرة وازداد يقيناً وثباتاً وطمأنينة ، انظر إلى حال النبي عندما عُرِضَ عليه مطامع الدنيا سيُزَوِّجُونه ، سيُمَلِّكُونه ، سيؤتونه

من المال ما يريد ، سيفعلون به ولكن ثبت ما هو عليه ﷺ ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾الإسراء: ٧٣ .

ثانياً : في نصر الله ﷻ ، فإن أهل السنة ينصرهم الله في الدنيا ، مع ما ينتظرهم من ثواب جزيل في الآخرة وإن تعرضوا على الابتلاء ، وقد يموت بعضهم وهو لم يُدرك هذا الزمان لكنه يبقى هذا المعتقد بخلاف غيره ، ومُعتقد أهل السنة لا يؤثر فيه الاضطهاد ، ولا يؤثر فيه التوسع والانتشار ، بخلاف بقية عقائد أهل البدع ، فهناك عقائد بدعية كلما اضطُهِدُوا تركوا عقائدهم ، وهناك عقائد بالعكس إذا اضطُهِدُوا تمسكوا بقعيدهم ، وإذا انتصروا تركوها .

ثالثاً : أن أهل السنة أهل رحمة بالعباد ، حتى بالمخالف لهم . ومن مقتضى رحمتهم أنهم قد يحاولون عدماً فِعْلَ المخالف للبدعة رحمة به ، لا من باب التسلُّط والتجبر ، وإنما طاعة لله ورحمة بعباد الله ، بخلاف أهل البدع فإنه متى كان لهم ولاية وسُلطة فإنهم يظلمون من يخالفهم ، ويعتدون عليه ، وشاهد هذا في التاريخ وقد ذكرنا موقف الشيخ من علماء عصره ، وموقف أولئك منه ~ ، حتى قال قائلهم : ما رأينا مثل ابن تيمية ؛ نسعى في سفك دمه ، ويسعى في حقن دمائنا . وانظر إلى موقف النبي ﷺ عندما أتاه ملك الجبال ومعه جبريل ، قال : ((هَذَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، إِنْ أَمَرْتَهُ أَنْ يُطْبِقَ الأَخْشَبَيْنِ عَلَيْهِمْ)) . وهم قد ضربوه وحقروه وفعلوا به ما فعلوا ، ومع ذلك رحمهم النبي ورحم ذريتهم ، إلى خصائص أخرى منها وسطية أهل السنة والجماعة .

إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،

من فضل الله تعالى على الناس أجمعين أن يبقى أهل السنة والجماعة إلى قيام الساعة ، مُقتضى الوعد المذكور في قول النبي ﷺ : ((لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ

أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ)) . ولا بد أن يكون لهم ظهور ، ولا بد أن يكونوا منصورين في آخر الأمر ، وإن لحقهم ما لحقهم من أنواع الابتلاء كما تقدم .

ومن خصائص هذه الطائفة المنصورة إظهار الشعائر الإسلامية ، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصلاة ، والزكاة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١ ﴾الحج: ٤٠ - ٤١ .

وهذه الطائفة سُمِّيت أهل السنة والجماعة أخذاً من قول النبي ﷺ : ((هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي)) . فقوله : على مثل ما أنا عليه اليوم . هذا هو السنة ، وقوله : وأصحابي . فيه إشارة إلى الجماعة ، وفيه إشارة إلى أنهم يدينون الله تعالى بالسمع والطاعة لولاة الأمور بمقتضى النصوص الآتية بالأمر بذلك ، ومجمل هذا الاعتقاد قوله :

وَهُوَ الإِيمَانُ باللهِ : وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

فهذه ستة أركان سيأتي لها تفصيل في القسم الثاني من هذه الرسالة ، متعلقاً بمجمل معتقد أهل السنة والجماعة ، ويُمكن إعطاء موجزٍ عامٍ عن هذا ، لأن الإيمان بالله يتضمن اعتقاد ربوبية الله تعالى ، ويتضمن اعتقاد إفراد الله بالعبادة ، ويتضمن اعتقاد اتصاف الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى ، ويدخل في مسمى الإيمان المعتقد والقول والعمل ، وسيأتي تفصيل ذلك .

وأما الإيمان بالملائكة والكتب والرسل والبعث فهناك إيمان إجمالي بأن لله ملائكة وكتباً ورسلاً ، لهم أعمال مخصوصة ، قد جعلهم الله تعالى ينفذون أمره

، ويدعون عباده إلى عبادته ، وهناك إيمان تفصيلي بالإيمان بمن سمى الله من هؤلاء .

وأما البعث بعد الموت فيعتقد العبد أنه سيُبعث بعد موته ، وأن الموت ليس آخر المطاف عنده ، وأنه سيُحاسب على أعماله .

وهكذا أيضاً فيما يتعلق بالإيمان بالقدر ، فيعتقد العبد أن الله علم ... الوقائع قبل وقوعها ، وأنه يعلم ما لو لم تقع هذه الوقائع لكان عالماً بما سيقع بدلها ، ويؤمن بأن الله ﷻ قد شاء هذه المقادير ، وأنه قد كتبها ، وأنه تعالى قد خلقها .

والإيمان بالقدر خيره وشره يتضمن ذلك الشكر والصبر ، أو يوصل إليهما ، وسيأتي تفصيل ما يتعلق بالإيمان بالقدر فيما يأتي

وَمِنْ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيْمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ:

والقاعدة في هذا الباب إثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله ، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ .

مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ :

المراد بالتحريف التغيير ، يقال : حرَّف بمعنى غيَّر . ومن هنا نقول : حرف اليهود والنصارى كتبهم ، أي : غيروها . والتغيير قد يكون للفظ كما قال قائلهم بدل حطة حنطة ، وهذا تحريف للفظ ، وقد يكون التحريف للمعنى كما في قوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾طه: ٥ . فقالوا : معنى استوى استولى . وهذا يخالف معنى هذه اللفظة في لغة العرب ، فهذا تحريف في المعنى .

وكمن يقول في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤. أي : جرحه بجروح الحكمة . وهذا تحريف للمعنى .

وَلا تَعْطِيلٍ :

أي : إلغاء للمعنى والمدلول . ومنه تفويض النصوص ، بأن يقول : لا تُفسر بمقتضى الله ، بل الله أعلم بها . فنقول : لها معنى ، ونثبتها بناء على هذا المعنى اللغوي . ومثال ذلك في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ . قال : السميع ليس لها معنى . هذا تعطيل ، أو قال : لها معنى لكننا لا نعرفه ، ولا يصح أن يُفسر بمقتضى لغة العرب . فهذا تعطيل ، وعليه فإن التعطيل عندنا إما أن يكون بإلغاء المعنى بالكلية ، بأن يقول : ليس له معنى . وإما أن يكون بالتفويض ، بأن يقول : له معنى لكنه لا يُفسر بمقتضى لغة العرب .

وَلا تَكْيِيفٍ :

التحريف والتعطيل إلغاء لمدلول النص ، أو نقصان منه ، بينما التكييف والتمثيل زيادة ، ومن أمثلة التكييف قد يكون في الهيئة ، وقد يكون في العدد ، وقد يكون في الحال والطريقة ، ومن أمثلته ما لو قال : صفة اليد لله عَزَّ وَجَلَّ حجمها كذا ، وطولها كذا . فهذا تكييف وهو محرم ، لأنه من القول على الله بلا علم ، وكذا التعطيل والتمثيل حرام ؛ لأنه مضادة ومخالفة لمعنى النص .

وَلا تَمْثِيلٍ ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾الشورى: ١١.

أي : تشبيه له بشيء من المخلوقات من كل وجه . وكان في أصل النسخة : ولا تشبيه . فلما أُتِيَ بهذه العقيدة في مصر بدل الشيخ هذه اللفظة وجعلها : ولا تمثيل . لأمرين :

الأمر الأول : أن النص قد ورد بنفي المثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ . وأما التشبيه فلم يرد في النص ، فنسكت عنه .

الأمر الثاني : أن الشبه كلمة واسعة المدلول ، فقد يراد بها الشبه في مجرد الاسم ، وقد يراد بها الشبه في أصل الصفة ، وقد يراد بها الشبه في تمام الصفة ، ومن ثَمَّ تحتمل كلمة التشبيه معاني مختلفة ، فتوقفنا عن إطلاقها .

التمثيل حرام ؛ للآية ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ . وبهذه الآية إثبات الصفات في قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. ونفي التمثيل في قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ .

فَلا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ :

والتحريف تغيير ، قد يكون للمعنى وقد يكون للفظ ، والمعنى : لا يبدلون اللفظ في ذاته ولا في معناه . والمراد بمواضعه المتكلم به .

وَلا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ :

والإلحاد على أنواع ، فإما أن يكون بالتعطيل ، وإما أن يكون بالتمثيل ، وإما أن يكون بتحميلها ما لا تحتمل من المعاني ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾فصلت: ٤٠ . ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴾الأعراف: ١٨٠ .

وَلا يُكَيِّفُونَ ، وَلا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ :

يبقى هنا القسم الثالث ، وهو ما لم يُثبته الله و لم ينفه ، ما موقفنا منه ؟.

نقف منه موقفين :

الموقف الأول : أن نسكت كما سكت الله ورسوله . فإن الله تعالى لو علم أن في إثبات هذا الوصف ، أو نفيه فائدة للخلق لأثبته أو نفاه .

الموقف الثاني : أن نستفصل عن معنى ذلك الوصف . فإن أُتِيَ بمعنى مُثبت في النصوص أثبتنا المعنى ، وإن أُتِي بمعنى منفي في النصوص نفيناه .

وقد سرنا على هذه الطريقة لعدد من الأدلة :

لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا سَمِيَّ لَهُ ، وَلا كُفْؤَ لَهُ ، وَلا نِدَّ لَهُ ، وَلا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ ، وَأَصْدَقُ قِيلاً ، وَأَحْسَنُ حَدِيثاً مِنْ خَلْقِهِ .

الدليل الأول : أن الله لا سمي له ، ولا ند له ، وكفؤ له ، فلا يوجد من يساميه (يماثله) ، ولا يوجد من هو كفؤ له في مترلته ، ولا يوجد من يشاركه ويماثله ، فحينئذ هو ﷻ أعلى من عقولنا ، ومن ثم نتوقف على ما وصفه الله لنفسه .

الدليل الثاني : أنه ﷻ لا يصح أن يقاس بالخلق ، بقياس تمثيلي يستوي فيه الخالق والمخلوق ، ومن هنا فالعقول لا تنطلق في تصرفاته إلا من شيء مشاهد ، فالدليل العقلي لا بد أن ينطلق من شيء مشاهد محسوس ، أنت تشاهد هذه النار تُحرق فتستدل به على أن كل نار محرقة ، والاستدلال قياسي عقلي ، أحرقت هذه النار الخشب فتستدل به على أنها تحرق الثياب ، فهذا استدلال عقلي ، لكن في صفات الله فإن الله ﷻ لا يصح أن يقاس بالخلق حتى نُدخل القياس العقلي وندخل العقول في هذا الباب .

ونعلم أن ما ورد في النصوص لا يمكن أن يكون معارضاً لما تدل عليه العقول ، لكن النصوص قد تأتي بأشياء لا تتمكن العقول من إدراك حقيقتها .

الدليل الثالث : من هو الأعلم بالله ؟. هو تعالى أعلم بنفسه ، ورسوله أعلم به منا ، فحينئذ هل نترك خبر الأعلم بنفسه لننطلق إلى استدلالات عقلية ، ليست منطلقة من علمٍ موثق .

الدليل الرابع : أن الله صادق في أخباره ، ولا يكذب الله سبحانه ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾النساء: ١٢٢فإذا أخبر بخبر فلا بد أن يكون صحيحاً وصدقاً ، فمن جاءنا وعارض خبر الله بشيء غيره كأنه يشكك في صدق الله ﷻ .

الدليل الخامس : أن الله تعالى لا يعجزه البيان . هل نحن أقدر في الكلام من الله ﷻ ؟. فحينئذ لو كان متصفاً بصفة لبينها ، ولو كانت هذه الصفة لا يتصف بها الله فلا يمكن أن يتكلم الله في إثباتها لنفسه وهو قادر على البيان ، والذي يخطئ في الكلام الذي عنده عجز في معرفة الألفاظ ودلالاتها ، لكن الله سبحانه لا بيان أحسن من بيانه ، ولا أوضح ، ولا أكثر تفصيلاً ، ولذلك وصف الله هذا الكتاب بأن فيه آيات بينات ، وبأنه مفصل ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ ﴾الأعراف: ٥٢.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ ، بِخِلافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لا يَعْلَمُونَ :

الدليل السادس : أن الأنبياء رسل الله ، والله تعالى لا يمكن أن يكذب على رسله ، لأن من مقتضى رسالتهم أن يكونوا صادقين ، فلو كان شيء من الشريعة ، لو كان شيء من ألفاظ الوحي كذباً لكان هذا نقضاً لرسالة الرسل ، ويخالف مقتضى مراد الله ﷻ في تصديق الناس لهم واتباعهم لهم .

الدليل السابع : أنهم & لا يمكن أن يكذبوا . فلا يمكن أن يأتي حديث من النبي ﷺ في صفة الله وهو كاذب فيه .

وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾. فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ؛ لِسَلامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ ﴾ تنزه ﷻ عن صفات النقص ﴿ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾ فيه إضافة كلمة رب إلى الصفة ، رب بمعنى صاحب ، ومالك ، ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ عن الأوصاف التي يصفون الله بها ، وهذه الآية وردت في آخر سورة الصافات

، لما ذكر الله الأنبياء & ، وما قابله بهم ، وما قابلهم به أقوامهم ، ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ سلم على المرسلين لأنهم صادقون فيما أخبروا عن الله ﷻ ، فلما نزه نفسه عن الصفات التي يذكرها أولئك المعادون سلَّم على المرسلين ، لأن ما وصفوه به من الأوصاف صدق وحقيقة ، ثم قال : ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وَهُوَ – سُبْحَانَهُ – قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ ﷻ ، فَلا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾الحديد: ٣ . وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ ، الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، حَيْثُ يَقُولُ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ . وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ ، حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾البقرة: ٢٥٥ . وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَمْ يَقْرَبْهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ .

وَقَوْلِهِ – سُبْحَانَهُ – : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾. وَقَوْلِهِ – سُبْحَانَهُ – : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ . وَقَوْلِهِ – سُبْحَانَهُ – : ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ . ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ . ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾ . وَقَوْلِهِ : ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى

ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾. وَقَوْلِهِ : ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾. وَقَوْلِهِ : ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

وَقَوْلِهِ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ .

وَقَوْلِهِ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾. وَقَوْلِهِ : ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾. وَقَوْلِهِ : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾البقرة: ٢٥٣ . وَقَوْلِهِ : ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾المائدة: ١ وَقَوْلِهِ : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾الأنعام: ١٢٥ وَقَوْلِهِ : ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾البقرة: ١٩٥ .

﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾الحجرات: ٩ . وَقَوْلِهِ : ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾التوبة: ٧ .

وَقَوْلِهِ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾البقرة: ٢٢٢ .

وَقَوْلِه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾آل عمران: ٣١ . وَقَوْلِه :﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾المائدة: ٥٤ . وَقَوْلِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾الصف: ٤ . وَقَوْلِه :﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾البروج: ١٤ .

وَقَوْلِه : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾الفاتحة: ١ . وَقَوْلِه : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾غافر: ٧ . وَقَوْلِه : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾الأحزاب: ٤٣ . وَقَوْلِه :﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾الأعراف: ١٥٦ . وَقَوْلِه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾الأنعام: ٥٤ . وَقَوْلِه : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾يونس: ١٠٧ وَقَوْلِه : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾يونس: ١٠٧ . وَقَوْلِه :﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾يوسف: ٦٤ .

وَقَوْلِه :﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾البينة: ٨ .

وَقَوْلِه : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾النساء: ٩٣ . وَقَوْلِه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾محمد: ٢٨ . وَقَوْلِه : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾الزخرف: ٥٥ . قَوْلِه : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾التوبة: ٤٦ . وَقَوْلِه :﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾الصف: ٣ .

وَقَوْلِه : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾البقرة: ٢١٠ . وَقَوْلِه : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾الأنعام: ١٥٨ .

وَقَوْلِه : ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾الفجر: ٢١ - ٢٢ . وَقَوْلِه : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾الفرقان: ٢٥ .

وَقَوْلِه : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾الرحمن: ٢٧ .

وَقَوْلِه :﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾القصص: ٨٨ .

وَقَوْلِه :﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ص: ٧٥ وَقَوْلِه :﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾المائدة: ٦٤ .

وَقَوْلِه : ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾الطور: ٤٨ وَقَوْلِه : ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾القمر: ١٣ - ١٤ وَقَوْلِه : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾طه: ٣٩ .

وَقَوْلِه : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾المجادلة: ١ وَقَوْلِه : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾آل عمران: ١٨١ وَقَوْلِه :﴿أَمْ

﴿يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾الزخرف: ٨٠﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾طه: ٤٦ .

وَقولِه : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾طه: ٤٦ . وقولِه :﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾العلق: ١٤ وقولِه :﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾الشعراء: ٢١٨ – ٢٢٠. وَقَولِه : ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾التوبة: ١٠٥ .

وَقولِه : ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾الرعد: ١٣. وَقَولِه : ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾آل عمران: ٥٤. وَقولِه : ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾النمل: ٥٠.

وَقولِه : ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾الطارق: ١٥ - ١٦.

وَقولِه : ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾النساء: ١٤٩. وَقولِه : ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾النور: ٢٢.

وَقولِه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾المنافقون: ٨. وَقولِه – عَنْ إِبْلِيس – : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾ص: ٨٢.

وَقولِه : ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾الرحمن: ٧٨.

وَقَوْلِهِ : ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ مريم: ٦٥ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ الإخلاص: ٤. وَقَوْلِهِ : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ البقرة: ٢٢. وَقَوْلِهِ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ البقرة: ١٦٥. وَقَوْلِهِ : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ الإسراء: ١١١.

وَقَوْلِهِ : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ التغابن: ١. وَقَوْلِهِ : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ الفرقان: ١ - ٢.

وَقَوْلِهِ : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ المؤمنون: ٩١ - ٩٢. وَقَوْلِهِ : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ النحل: ٧٤. وَقَوْلِهِ : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الأعراف: ٣٣.

وَقوْلِهِ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾طه: ٥. فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعٍ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ قَوْلُهُ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾الأعراف: ٥٤ . وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونس # : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾يونس: ٣ . وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾الرعد: ٢ . وَقَالَ فِي سُورَةِ طَه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾طه: ٥ . وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾الفرقان: ٥٩. وَقَالَ فِي سُورَةِ: ألم السجدة . ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا﴾السجدة: ٤ . وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾الحديد: ٤ .

وَقَوْلِهِ :﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾آل عمران: ٥٥. وَقَوْلِهِ : ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾النساء: ١٥٨ . وَقَوْلِهِ : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾فاطر: ١٠ . وَقَوْلِهِ : ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾غافر: ٣٦ – ٣٧ . وَقَوْلِهِ : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن

يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾الملك: ١٦ - ١٧ .

وقَوْلِهِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾الحديد: ٤ . وقَوْلِهِ : : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾المجادلة: ٧ . وقَوْلِهِ : ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾التوبة: ٤٠ . وقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾طه: ٤٦ . وقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾النحل: ١٢٨ . وقَوْلِهِ : ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال: ٤٦ . وقَوْلِهِ : ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾البقرة: ٢٤٩ .

وقَوْلِهِ : ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾النساء: ١٢٢ . وقَوْلُهُ : ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ﴾النساء: . وقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾المائدة: ١١٦ . وقَوْلِهِ : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا ﴾الأنعام: ١١٥ . وقَوْلِهِ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤ . وقَوْلِهِ : ﴿ ۞ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾البقرة: ٢٥٣ . وقَوْلِهِ

: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾الأعراف: ١٤٣ . وَقَوْلِهِ : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢ ﴾مريم: ٥٢ . وَقَوْلِهِ : ﴿ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ ﴾الشعراء: ١٠ . وَقَوْلِهِ : ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾الأعراف: ٢٢ . وَقَوْلِهِ : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥ ﴾القصص: ٦٥. وَقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾التوبة: ٦. وَقَوْلِهِ : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ ﴾البقرة: ٧٥. وَقَوْلِهِ : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ ﴾الفتح: ١٥. وَقَوْلِهِ : ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾الكهف: ٢٧. وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ ﴾النمل: ٧٦.

وَقَوْلِهِ : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾الأنعام: ١٥٥. وَقَوْلِهِ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾الحشر: ٢١. وَقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ

بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ النحل: ١٠١ – ١٠٣ .

وَقَوْلِهِ : ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣ وقَوْلِهِ : ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ المطففين: ٣٥ وَقَوْلِهِ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ يونس: ٢٦ وَقَوْلِهِ : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾﴾ ق: ٣٥ .

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ .

ذكر المؤلف ~ العديد من الآيات القرآنية الواردة في صفات رب العزة والجلال ، وذلك لأن القرآن هو المصدر الأصيل في معرفة صفات الله تعالى ، لأن الله أعرف بنفسه من غيره ، وهو سبحانه أقدر في البيان من كل متكلم ، وهو تعالى صادق في كلامه ، لا يمكن أن يخبر بما هو مخالف للواقع .

ثم لو لم تكن هذه الصفات صفات حقيقة يتصف الله بها لما كان من العقل ، ولا ا لحكمة ، ولا المناسبة أن يُخاطب بها ، والله تعالى حكيم ، إذ لو لم يكن متصفاً بهذه الصفات لأغفل ذكرها ، ولا يترتب على ذلك مزيد ثمرة ، فلما ذكرها وتكلم بها دل هذا على ثبوتها له تعالى .

ومن القواعد المتعلقة بفهم الآيات القرآنية الواردة في صفات الله تعالى ، فأول هذا أن نقول : إن أكثر النصوص والآيات القرآنية الواردة في إثبات الصفات قطعية الدلالة ، فهي من جهة إسنادها قطعية ، لأنها من القرآن المتواتر ، من جهة حجيتها قطعية أيضاً لأن القرآن قطعي الحجية ، ومن جهة دلالاتها أيضاً قطعية ،

واستفادة القطعية من نصوص الصفات مأخوذة من أمور متعددة أبرزها أربعة أمور :

أولها : أن آيات الصفات كثير منها قطعي الدلالة ، نص ، والمراد بالنص هو اللفظ الصريح في معناه ، الذي لا يتطرق إليه احتمال يسلب اللفظ القطعية الدلالة ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ النساء: ١٦٤ . نص في إثبات صفة الكلام لله تعالى ، فمن أراد تفسير هذا اللفظ بغير إثبات ، بغير معنى إثبات صفة الكلام لله فإنه قد أتى بتفسير يدل اللفظ على إبطاله ، فإنه قال : كلم تكليما .

الأمر الثاني : تكرار ذكر الصفة في مواطن متعددة دليل على أن ثبوت الصفة جاء بطريق قطعي ، وقد أورد المؤلف في هذا أمثلة ، منها مثلاً صفة الاستواء ، وردت في سبعة مواضع ، كلها تؤكد إثبات صفة الاستواء لله ...

وتكرار اللفظ واستعمال المعنى أكثر من مرة يؤدي إلى استفادة القطع ، والجزم بإثبات الصفة .

الأمر الثالث : أنه لم يرد دليل يدل على عدم .. إرادة إثبات الصفة بهذه النصوص ، فالنصوص لو لم يكن المراد بها إثبات الصفة لوردنا أدلة أخرى تدل على صرف هذه الألفاظ عن مدلولها ، لكن هذا لم يرد البتة .

الأمر الرابع : إجماع أهل العصور الأُول على إثبات مدلول هذه الألفاظ ، ولذلك قال المؤلف لمن خالفه : " أُمهِلُكم السنين العديدة لتأتوا لي بما يخالف ما في هذه النصوص من أهل القرون الثلاثة ، التي فضلها النبي ﷺ " . فعجزوا عن ذلك مع تطاول السنين .

لو قدَّرنا أن هذه الآيات القرآنية ... على إثبات هذه الصفات من جهة الظاهر لا من جهة النص ، وذلك لأن دلالة اللفظ إما أن تكون بطريق النص ... والصريح في معناه ، أو تكون بدلالة الظاهر ، وهو اللفظ الدال على أكثر

من معنى ، لكن أحد هذه المعاني أرجح من غيره ، ولو قدرنا أن دلالة هذه الآيات على إثبات الصفات من باب الظاهر لكان تعاضد النصوص ينقلها من كونها ظنية الدلالة إلى كونها قطعية الدلالة ، والقول بأن الصفات لا تثبت إلا بالطريق القطعي نحتاج فيه إلى معرفة ما المراد بالقطع ، ومن ثم النظر في الأدلة الظنية هل يصح الاستدلال بها في مباحث العقائد أو لا يصح ؟. فنقول : القطع هو الجزم . فالدلالة القطعية هي التي يُجزم بتضمن اللفظ لها ، وإفضائه إليها .

ولا يُشترط في حجية الدليل أن يكون قطعي الدلالة ، بل الدليل ظني الدلالة دليل صحيح يجب العمل به ، ويجب اعتقاد مدلوله ظاهراً .

بعض المتكلمين في العقائد يقولون : لا يصح إثبات العقائد بالأدلة اللفظية . يريدون بذلك الكتاب والسنة ؛ قالوا : لأنها ظنية ، ولا يوجد في النصوص ما هو قطعي ، ... قالوا : لأن النصوص القرآنية ترد إليها احتمالات عديدة ، فيمكن أن يرد إليها .. ويمكن أن يرد إليها تخصيص ، ويمكن أن يرد عليها الاشتراك في المعنى ، إلى غير ذلك من الاحتمالات التي يذكرونها وهي عشر احتمالات ، وهذا الكلام باطل من أوجه متعددة ، أبرزها ما يأتي :

أولاً : أن مجرد الاحتمال ، الذي يرد على الأذهان لا ينفي القطعية ، بل الاحتمالات إذا لم يكن معها دليل فإنه لا يُلتفت إليها ، والناس في حياتهم يقطعون بأشياء مع ... احتمالات عليها ، لكنها غير مستندة .... دليل ، مثلاً تقابل زميلك في الجامعة الذي تعرفه من أشهر ، تجزم بأن هذا فلان ، مع أنه يحتمل أن يكون الذي واجهك الآن أخاً توأماً لزميلك ، ولكن هذا الاحتمال لم ينف القطع ، ولا يلتفت إليه عاقل ، فمجرد ورود الاحتمال لا ينفي القطع ، وإنما يكون الاحتمال مؤثرا متى كان مستنداً إلى دليل .

ثانياً : أن هذا يعني أن النصوص القرآنية والنبوية الواردة في الكتاب والسنة عبث . متى كانت متعلقة بالصفات . وهذا لازم باطل ، لأنهم يقولون : الصفات لا تُستفاد من الكتاب والسنة ؛ لأنها أدلة لفظية محتملة فحينئذ لا فائدة

من ذكرها ... وهذا لازم باطل قد دلت النصوص على نفيه ، فالله تعالى حكيم ، ومن مقتضى حكمته ألا يتكلم إلا باللفظ الذي له ثمرة وفائدة .

ثالثاً : أن كل مبحث ، أو نوع من العلم يُرجع فيه إلى الأدلة المناسبة لذلك العلم . المباحث الشرعية يُرجع فيها إلى أدلة الشرع ، كما أن المسائل اللغوية يُرجع فيها إلى الأدلة اللغوية ، والعقليات يُرجع فيها إلى أدلة العقول ، فهكذا المباحث الشرعية يُرجع فيها إلى أدلة الشريعة ، وصفات رب العالمين مبحث شرعي ، فيُرجع فيه إلى الأدلة الشرعية ، فالقول بأن الأدلة الشرعية لا يُلتفت إليها لأنها لفظية يخالف هذه القاعدة التي يسلمها كل العقلاء .

رابعاً : أن الله ﷻ قد أوجب على العباد أن يجزموا بأشياء بناءً على الدليل الشرعي ، كما في قوله تعالى : ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ الطلاق: ١٢ . ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المائدة: ٩٧. ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ محمد: ١٩. والمراد بالعلم الجزمُ والقطع بالمدلول المعلوم ، فدل هذا على أن القطع بهذه المطالب المتعلقة بصفات الله أمر مطلوب شرعاً ، ولا يمكن أن يُطالب الناس بالجزم بشيء لا يوصل إلى الجزم ، ولو سلّمنا أن دلالة آيات الصفات من باب الظاهر وليست من باب النص ، فإن الظاهر إذا تعاضد وصل إلى الجزم ، والظاهر إذا وقع إجماع عليه فإنه يكون قطعياً ، قد أجمع على دلالة آيات الصفات القرون الأول فكان قطعياً ، ثم لو قدرنا أن الصفات لم يرد بها إلا أدلة ظاهرة فحينئذ يجب أن يكون عند الإنسان إدراك مناسب لهذه الظواهر ، أما أن يقال : إن الآيات الظواهر لا ثمرة للمخاطبة بها . فهذا نسبة عبث إلى الله تعالى يُتره رب العزة والجلالة عنه .

فإن قال قائل : دلالة هذه الآيات معارض بأدلة أقوى منها ، وهي دلالة العقل ، فإن العقل على نفي هذه الصفات ؟. والجواب عن هذا بأن يقال : لا يوجد في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات ، وكون عقولكم لم تتمكن من

الوصول إلى إثبات هذه الصفات لا يعني أن العقل يدل على نفيها ، فإن العقول متفاوتة ، بل العقل الواحد تتفاوت مداركه بين وقت وآخر ، فكون عقل المخالف عاجزاً عن إدراك الصفة لا يعني أن عقل غيره يماثله في هذا العجز .

ثم إنه لا يمتنع أن تأتي الشريعة بما تعجز العقول عن إدراكه ، لكنه لا يخالف ما في العقول ، فالشريعة قد تأتي بمسائل ، ومطالب تحار العقول فيها ، ولا تتمكن من الوصول إليها ، لكن لا يمكن أن تأتي الشريعة بما تحيله العقول الصحيحة ، ومثال ذلك تفاصيل يوم القيامة تعجز العقول عن الوصول إليه ، لكنه لا يعارض ما في العقل ، وهكذا ما يتعلق بالصفات .

ثالثا : إن العقول قد دلت على إثبات هذه الصفات ، وقد دل العقل على إثباها من أوجه :

الوجه الأول : أن هذه الصفات صفات كمال ، والله الخالق أولى بالكمال من غيره .

الوجه الثاني : أن هذه الصفات توجد المخلوق بخلق الله ، الله خلقها في العباد ، فإذا كان العباد يتصفون بها فإن الخالق لها قادر على الاتصاف بها ، فصفة مثل صفة السمع ، أو البصر هي في المخلوقات ، والذي خلقها رب العزة والجلال ، فالموجد لهذه الصفات قادر على الاتصاف بها ، فالعقل لا يحيل اتصافه به سبحانه .

الوجه الثالث : أن العقل ليس المرجع في هذا الباب ، فإن العقول آلة يُتوصل بها إلى معرفة المعلومات وإدراكها ، وذلك أن لفظ العقل لفظٌ مشترك ، يُطلق على معانٍ متعددة :

المعنى الأول : أن يراد به العقل الغريزي ، الذي خلقه الله عند المخلوقات للتمييز . فهذا لا يصح أن يرجع إليه ، لأنه موجود عند الصغير والكبير ، بل عند البهائم شيء من هذا العقل ، فهي تميز بين الطعام وأنواعه .

المعنى الثاني : أن تُسمى التجارب ، والخبرات بهذا الاسم . فيقال : فلان عنده عقل كثير . بمعنى أنه مرت به تجارب متعددة ، وهذا لا مدخل له في هذا الباب ؛ لأنه لا خبرة للإنسان فيما يتعلق بصفات الله إلا من خلال معرفة آثار هذه الصفات .

المعنى الثالث : أن يراد به معرفة العواقب ، وإدراك المآلات . وهذا أيضاً لا يصح أن يكون معياراً على نصوص الصفات .

ومن ثَمَّ لا يصح أن نقول بأن العقل يدل على نفي الصفات مهما فسرنا العقل بأي معنى من هذه المعاني ، فإن قال قائل : إن إثبات هذه الصفات يؤدي إلى وجود المشابهة بين الخالق والمخلوق ، والله ﷻ مُنزه عن المشابهة

الجواب عن هذا من أوجه :

الوجه الأول : أن نفي المشابهة لا يستلزم نفي الصفات . ونضرب مثلاً بسيطاً لتقريب الأمر للأذهان ، فالإنسان عنده يد ، والنملة عندها يد ، فهل يعني هذا أنهما متماثلان ، أو متشابهان ؟. لا يعني هذا .

الوجه الثاني : أننا نجد أن المخالف لا بد أن يثبت صفة لله ، مع وجود مشابهة لها بشيء من صفات المخلوقات . فهناك طائفة تثبت الصفات السبع ، وهناك من يثبت العلم مع كون المخلوق يتصف بصفة العلم ، فمهما كان جوابه عن هذا الإيراد يكون جوابنا عن الإيراد كغيره من الصفات ، إذا قلنا : إن الله يرضى ويحب . قال : هذا يستلزم أن يكون مشابهاً للمخلوق . قلنا : أنت تقول : بأن الله عالم ، وبأن الله موجود . وأيضاً من المخلوقات ما هو عالم ، والمخلوق موجود ، فهل يعني هذا وجود التشابه ؟ أو يلزم من ذلك نفي الصفة عن الله ؟!. قال : لا . قلنا : ما جاوبت به عن هذا الإيراد على قولك نجيب على الإيراد الذي أوردته .

الوجه الثالث : التمسك بنفي الصفات من خلال ادعاء أن إثباتها إلى التشبيه ، أن نقول : النصوص لم تأت بنفي المشابهة بين الخالق والمخلوق ، ولا

بإثباتها ، وذلك لأن المشابهة فيها معانٍ مختلفة ، لأن المشابهة قد تكون في الشيء اليسير وقد تكون في الشيء ... ، فالتشابه في الاسم تشابه ، والتشابه من جميع الأوجه أيضاً تشابه ، ولذا سكتت النصوص عن هذا اللفظ ، فإن قال قائل : إن الله يقول : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾الشورى: ١١. يكون هذا نفيٌ للماثلة ، في مشابهة خاصة ؛ لأنها مشابهة من كل وجه .

الأمر مما يتعلق بباب الصفات أن الله تعالى متصف بصفات ثبوتية ، وهناك صفات منفية عن الله سبحانه ، فقد اجتمع النفي والإثبات في أوصاف الله تعالى ، لكن آيات الصفات المثبتة جاءت على التفصيل ، بخلاف آيات النفي فإنها تأتي بالإجمال بالكلية ، إلا في المواطن التي تقع عند الناس فيها شبهة ، أو يُظن أنه يوجد عند الناس شُبهة ، وقد مثلها المؤلف بسورة الإخلاص فقال :

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ .

أي أنه يصمد لحوائج الخلق ، ويصمد الخلق له بحوائجهم ،

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾

هنا نفي ، لكنه ليس نفياً مجملاً ، وإنما نفي مفصل ؛ لأن إثبات الولد لله وُجِدَ عند بني آدم في طوائف كثيرة ، فقالت طائفة : ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾التوبة: ٣٠. وقال آخرون : ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ﴾ التوبة: ٣٠. وقال آخرون : الملائكة بنات الله . فاحتجنا هنا إلى النفي التفصيلي .

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

هذا نفي على جهة الإجمال .

الصفات المنفية التي جاءت في النصوص لها معنى غير النفي ، يتضمن الإثبات ، فإن قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ . لإثبات قدرة الله ، وعدم احتياجه إلى الولد والمعين .

وفي آيات النفي إثبات كمال الضد كما في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾النساء: ٤٠. وذلك لكمال عده سبحانه ، فإن قال قائل : إن نصوص الصفات تحتمل التأويل ، ويُمكن أن تُفسر بغير ظاهرها ، فكما قال قائلهم في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾طه: ٥ . بأننا نفسره قوله : استوى . باستولى ، فنقول : الأصل في فهم الألفاظ أن يكون على مقتضاها اللغوي ، فمن فسرها بخلاق مقتضاها اللغوي فقد خالف قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾الزخرف: ٣. ثم إن تأويل اللفظ لا بد أن يكون له دليل ، ولا دليل لهذه التأويلات ، ثم إن هذه التأويلات قد دلت الأدلة على بطلانها ، فإنه قال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾. لو قلت : استولى . لكان تخصيص العرش بالاستواء لا فائدة له ، لأنه كما استولى على العرش استولى على السموات ، والأراضين ، وابن آدم ، والبهائم ، فهذا التأويل يخالف ظاهر النص ، بل في الآية الأخرى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾الأعراف: ٥٤. فلو فسرناه بالاستيلاء للزمنا أن نقول : إنه لم يستولِ على العرش إلا بعدما فعل هذه الأمور المذكورة في الآية . وهذا قول باطل .

فإن قال قائل : إنه قد ورد لفظ استوى وأُرِيدَ به غير العلو والارتفاع ، في مثل قوله سبحانه : ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾الفتح: ٢٩. ومثل قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾فصلت: ١١. وقد فسرتموها بمعنى آخر مغاير

لهذا المعنى الذي ذكرتموه ، فلِمَ لم تفسروا هذه النصوص بذلك ؟. فيقال : اللفظ العربي لا يُفهم وحده ، بل لا بد من النظر في سياقه ، في جملته . ومن نظر إلى الألفاظ المجردة وقع في فهم مغاير لمراد المتكلم ، ومن أمثلة ذلك لو نظرت إلى لفظة : قال . كما في قول النبي ﷺ : ((مَا لِي وَلِلدُّنيا ، إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ)) . فلو جاءنا شخص وقال : قال معناها تكلم . لكان هذا مخالفاً لمدلول اللفظ في لغة العرب ، ولو سمعه أحد من العرب لضحك منه ، وهكذا أيضاً إذا رأينا إلى هذه الاستعمالات لكلمة (استوى) ، فقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾. فرق بين التعدية بإلى وعلى ، وأما النظر في قوله : ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾. فإنها على نفس سياق آيات الصفات ، لأن المراد بها الارتفاع والعلو ، ومن نعرف أن القاعدة الشرعية في تفسير آيات الصفات أن نفسها بمقتضى معناها اللغوي ، وأن ننظر إلى آيات الصفات فنفسر هذه الآيات بمقتضى مدلول الآيات الأخرى الواردة في الصفات .

فإن قال قائل : إن جمهور المسلمين ينفون الصفات . وقد يستدل بأن يقول : الجامع الفلاني ، أو الجامعة الفلانية لها انتشار في العالم أجمع ، والقائمون عليها ممن ينفي هذه الصفات ، مما يدل على أن أكثر المسلمين ينفون الصفات ، ومن ثم يلزمنا نفي الصفات . فيقال في الجواب عن هذا : لا عبرة بالأكثرية والأغلبية ، بل المرجع في هذا إلى دلالة الدليل ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾يوسف: ١٠٣. وقال : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾الأنعام: ١١٦. ولو سرنا على مقتضى هذا لقال قائل بأنه كان يلزم النبي ﷺ أن يسير على معتقد الوثنيين لأنه أكثر ، ، ولقال قائل في عصرنا : يجب اتباع عقائد النصارى لأن عدد النصارى أكثر .

والوجه الثاني في الجواب عن هذه الشبهة أن يقال بأن أكثر المسلمين يثبتون هذه الصفات ، وأن نفاتها قليل ، فإن المسلمين يقرؤون كتاب الله ، ويسمعون مدلول هذه النصوص ، ويفهموها على مقتضاها اللغوي ، ولا ينفون ذلك ولا يشككون فيه ، ومن هنا فإن المسلمين يقرأ العامي منهم قوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ الحج: ٧٥. ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ البقرة: ٢٠٩. فيفهما بمقتضى معناها اللغوي ، ولا يؤولها ، بل لو قيل للواحد منهم بأن الله لا يسمع ، أو أن الله لا يحب المتقين لضرب المتكلم له بذلك ، وعده مكذباً لله ﷻ ، فالقول بأن جمهور المسلمين ينفون هذه الصفات قول باطل ، فجمهور المسلمين يثبتونها .

الوجه الثالث : أن يقال : العبرة بدلالة الدليل . المرجع إليه دلالة الدليل ، لأن الله يقول : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ النساء: ٥٩. فهذا هو المرجع ، وليس المراجع الاعتماد على قول الأكثرية .

قلنا أن مستند كثير ممن ينفي الصفات ظن أن آيات الصفات تقتضي التشبيه ، وهذا يدل على أن نفاة الصفات مشبهة ، لأنهم لا يصلون إلى نفي الصفة إلا بعد أن يشبهوا الله بخلقه ، وبعد أن يظنوا أن النصوص تدل على مشابهة الخالق للمخلوق .

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ ، حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ البقرة: ٢٥٥. وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَمْ يَقْرَبْهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ .

يبقى هنا فيما يتعلق بالالتفات إلى أنواع الصفات ، فإن كثيراً من أهل العلم نظر في هذه الصفات ، فقام بتقسيمها أقساماً متعددة ، فهناك صفات إثبات ، مثل قوله : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾الحديد: ٣. وهناك صفات نفي في مثل قوله : ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

وقوله : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾الفرقان: ٥٨ .

وهكذا أيضاً يمكن تقسيم الصفات باعتبارات متعددة ، منها أن هناك صفات فعلية ، من مجيئ رب العزة والجلالة ، ومن مثل استوائه على العرش ، وهناك صفات خبرية من مثل إثبات صفة اليد ، أو صفة الوجه ونحو ذلك .

وهكذا أيضاً هناك تقسيمات متعددة ، هذه التقسيمات يذكرها العلماء من أجل حفظ هذه الصفة من جهة بالنسبة للإنسان ، والنظر في ترابط هذه الصفات بعضها ببعض ، فهذه التقسيمات قائمة على استقراء هذه النصوص .

من القواعد المتعلقة بإثبات الصفات لرب العزة والجلال أن يُلاحظ أن الصفة الواحدة قد يكون لها أنواع متعددة ، ويرد إثباها في نصوص مختلفة ، يراد بكل نص أحد المعاني ، مثل لفظ الإرادة ، فإنه مرة يراد به الإرادة الشرعية ، التي قد يقع المراد فيها وقد لا يقع ، مثل قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾النساء: ٢٧ . هذه إرادة شرعية ، ويرد مرة ويراد به الإرادة الكونية القدرية التي لا بد أن يقع المراد فيها ، من مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾المائدة: ١ . ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾البقرة: ٢٥٣. فلا بد من التمييز بينهما ، لأن الخلط بينهما أدى إلى ضلال في المعتقد كبير ، ومن هنا نفت طائفة الإرادة الشرعية ، وقالوا : إن كل نصوص الإرادة يراد ها الإرادة الكونية . ورتبوا على هذا نفي عموم القدر ، لأن الله في الإرادة

الشرعية قد يريد الشيء إرادة شرعية لكن لا يقع ، مثل قوله : ﴿يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. ومن هنا قالت المعتزلة : يريد الله ويريد المخلوق ، وتقع إرادة المخلوق دون إرادة الخلق . فعز سبحانه وتتره عن قولهم ؛ لأنهم غلوا في إثبات الإرادة الشرعية ، وفسروا نصوص الإرادة الكونية بأن المراد بها الإرادة الشرعية .

وفي المقابل غلت طائفة في إثبات الإرادة الكونية ، ومن هنا قالوا : إن كل ما يقع ، وكل ما أراد الله كونه فإنه راضٍ به ، مريدٌ له إرادة شرعية . فجعلوا جميع أفعال العباد ، بما فيها المعاصي طاعاتٍ .

فعندما لا نفرق بين هذين النوعين نقع في إشكاليات كبيرة ، وهذا في مواطن عديدة ، في نصوص الصفات وفي غيرها ، ومثال ذلك لفظ الولاية ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾. مرة يراد بها الولاية العامة ، التي تشمل جميع المؤمنين ، كما في قوله : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾البقرة: ٢٥٧. ومرة يراد بها الولاية الخاصة ، التي تختص بأهل التقوى ، كما في قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾يونس: ٦٢ – ٦٣ .

ويقابل هذا أن الصفة الواحدة قد يراد بها المعاني المختلفة ، كلها مراد ، ولا يمتنع أن يراد باللفظ الواحد المعاني المتعددة ن بل هذا من بلاغة القرآن ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾البقرة: ١٨١. ما المراد بقوله : سميع ؟. هل المراد به أنه يدرك المسموعات كما في قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾المجادلة: ١ ؟. أو أن المراد به حفظ أوليائه المؤمنين ، كما في

قوله تعالى : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾طه: ٤٦ ؟. أو أن المراد به إجابة الدعاء ، كما في قوله : ﴿لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾إبراهيم: ٣٩. كلها مرادة بهذا اللفظ .

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣﴾الأنعام: ٨٣. ما معنى كلمة حكيم ؟. هل هي من الحكمة ، وهي وضع الأمور في مواطنها اللائقة بها ؟، أو هو من الحكم والقوة ؟. كلا المعنيين مراد بهذه الآية ، ولهذا نجد طوائف ضلت في هذا الباب ؛ بإثبات أحد المعاني للفظ دون المعاني الأخرى ، ومن هنا قالت طائفة كالأشاعرة : الله حكيم بمعنى أنه له الحكم ، فلا يريد شيئاً إلا وقع . لكنهم نفوا عنه الحكمة ، فقالوا : من تمام كونه حكيماً أن يفعل ما يشاء . وبالتالي قد يفعل أموراً ليس فيها مصلحة ولا حكمة . تعالى الله عما يقولون .

وفي المقابل قالت المعتزلة في إثبات الحكمة ، حتى قالوا : يجب على الله فعل الأصلح . وترتب على ذلك أنهم لم يفسروا قوله : ﴿حَكِيمٌ﴾. بأن المراد به الْحُكْم ، ولذلك نفوا عموم قدرة الله ، وعموم خلق الله للمخلوقات ، وقالوا بأن العبد يخلق فعل نفسه ، وأوجبوا على الله الأصلح ، ونحو ذلك .

لكن منهج أهل السنة والجماعة تفسير اللفظ بجميع معانيه ، وأن اللفظ الواحد قد يدل على معاني متعددة ، ولا يمتنع أن يكون رب العزة والجلال قد أراد باللفظ الواحد المعاني المتعددة ، بل هذا من بلاغة القرآن .

ومن الأمور المتعلقة بهذا أن الصفات ليس المعتقد فيها مجرد إثبات فقط ، بل يترتب عليه ثمرات ، فإذا أثبتنا الصفة ترتب عليها أيضاً عبادات شرعية كثيرة ، فعندما ننظر إلى مثل قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾البقرة: ٢٨٤ . نرتب على ذلك العديد من العبادات ، منها الإيمان ، والتصديق الجازم

بمقتضى مدلول هذا اللفظ ، ونرتب على ذلك أيضاً الخوف منه ﷻ ، بحيث نخاف من عقوبة الله متى عصيناه ، ونخاف منه تعالى بسبب ذنوبنا ومعاصينا ، وكذلك يتعلق به عبادة الرجاء ، فإذا كان سبحانه على كل شيء قدير رجوناه تعالى ، وأمَّلنا فيه سبحانه ، ومن تعلق بالله فإنه لا يخيب ، وكذلك جعلنا هذا نعرف أن قدراتنا محدودة ، وأن الذي عنده القدرة التامة هو رب العزة والجلالة ، فعرفنا قيمة أنفسنا ، وأننا إلى قِلٍّ وضعف .

وهكذا هناك معاني متعددة نستفيدها من إثبات كل صفة من صفات رب العزة والجلال ، ومما يتعلق بها من العبادات سؤال الله ﷻ بها ، فإن التوسل إلى الله بصفاته من أسباب إجابة الدعاء .

ومن الأمور المتعلقة بهذا أيضاً أن الناظر في النصوص الشرعية ، الواردة في الصفات ، وفيما يُنسب إلى الله يجد أنها على أربعة أنواع :

النوع الأول : الأسماء . من مثل : لطيف ، سميع . وهي التي يصح التعبيد لها ، فيقال : عبد السميع ، عبد اللطيف ، عبد الرحمن . وهذه الأسماء يمكن أن يؤخذ منها صفات ، ويمكن أن يؤخذ منها أفعال ، ويمكن أن ننسب إلى الله أخباراً بناء عليها ، فالرحمن نثبت به صفة الرحمة لله ، ونثبت لله فعل يرحم ، ونخبر عنه ﷻ بأنه رحيم .

النوع الثاني : الصفات . ومن أمثلة ذلك صفة العزة ، الصفة يؤخذ منها خبر ، ويؤخذ منها فعل ، ولكن لا يؤخذ منها أسماء ، ومن هنا فإن الآيات التي وردت فيها والأحاديث التي ورد فيها صفات نثبت هذه الصفة ، ولكننا لا نثبت أسماءً بناء عليها .

النوع الثالث : الأفعال . فإذا نُسبَ إلى الله فعل فيصح أن نُخْبِرَ به بعد ذلك ، لكن لا يصح أن نأخذ منه اسماً ولا صفة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾طه: ٥. فلا يصح أن نقول : من أسماء الله المستوي . لكن أثبتنا صفة

الاستواء بناء على نصوص أخرى ، ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾الطارق: ١٥ – ١٦. فلا يقال : من أسماء الله اسم يؤخذ من هذا الفعل .

النوع الرابع : مما يُنسب إلى الله الأخبار . فهذا يُخبر به عن الله ، لكن لا يصح أن نأخذ منه اسماً ولا صفة ، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾الأنعام: ١٩ . فلا يمتنع أن نخبر عن اله بأنه شيء ، ليس كالأشياء ، لكن لا يصح أن نأخذ من ذلك اسماً ولا صفة ولا فعلاً ، وهذا يقع فيه لبس كثير ؛ لأن أيضاً الخبر مرة يأتي بالإطلاق ومرة يأتي بالتقييد فلا بد أن يُلاحظ هذا ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾النور: ٣٥ . هذا ليس اسماً ، ولا صفة ، وإن كان يُستفاد الصفة من أدلة أخرى ، ولس فعلاً ، وإنما هو خبر ، لكنه خبر مقيد ﴿ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾النور: ٣٥ . ومن ثم لا يصح أن نجعل كل نور هو الله كما يقول بذلك طائفة من الضلال ، ولا يصح أن نجعل من أسماء الله النور ، وإنما نثبت الصفة من قوله ﷺ : ((نُورٌ مِنْ نَارِهِ)) . ونحو ذلك .

والأمر الآخر الذي يُلاحظ في هذا الباب أن هناك صفاتٍ يؤتى بها على جهة المقابلة ، فلا بد من تقييدها بذلك ، ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ : ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾الطارق: ١٥ – ١٦ .. فهذه الصفة لم يؤت بها إلى على جهة المقابلة ، وذلك أن بعض الصفات إذا أُتِيَ بها على جهة المقابلة لها معنى مقبول مغاير للحال لو أُتِيَ بالصفة على جهة الابتداء ، ومن أمثلة ذلك ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾البقرة: ١٩٤ فهنا أصل

الاعتداء مذموم كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾البقرة: ١٩٠. ولكن إذا كان في جهة المقابلة لم يكن مذموماً .

ويلاحظ أيضاً هنا ما يتعلق بالصفات المتقابلة ، فإن الله تعالى متصف بصفات متقابلة من كمال قدرته ، ومن كمال ﷻ ، ومن أمثلة هذا : يخفض ويرفع ، يعز ويذل . صفات متقابلة .

يبقى هنا مسألة قدم الصفات ، وهل صفات الله قديمة أو لا ؟. فإن النصوص دلت على قدم نوع الصفات ، فهو تعالى خالق قبل أن يوجد الخلق ، وهو سبحانه متكلم في الأزل وهذه صفات قديمة أزلية و لم يزل كذلك ، ولا يعني هذا أن ننفي الصفات الحادثة ، التي هي جزء من الصفات الأزلية ، فالله متى شاء أن يتكلم تكلم ، ومن هنا نعلم خطأ منهجين :

الأول : منهج المعتزلة . الذين يقولون : إنه لا يوجد هناك صفات أزلية ، والصفات حادثة ، لئلا يلزم تعدد القدماء . وهذه شبهة باطلة ؛ لأن الواحد بصفاته واحد ، فالصفات ليست مغايرة للذات ، لأن الذات والصفات تكون شيئاً واحداً ، ولذلك لما أوردوا على الإمام أحمد هذه الشبهة قال لهم : " هذه النخلة فيها جُمَّارٌ ، وفيها سعفٌ ، وفيها جذع كلها نخلة وليست متعددة " .

الثاني : طوائف رأوا إثبات الصفات القديمة ونفوا أفراد الصفات الحادثة . ولذلك قالوا : إن الله تكلم في الأزل ثُمَّ لا يتكلم ، سمع في الأزل ثم لا يسمع . كما هو قول الأشاعرة ، وهذا يلزم عليه لازم باطل ، يلزم عليه قدم العالم ، لأن الله قال : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾المجادلة: ١ . فلو كان قد سمع في الأزل لكان قول المرأة أزلية ، ولكانت المرأة موجودة في الأزل وهي قديمة ، وهذا قول باطل بلا شك .

وهناك قاعدتان :

الأولى : أن بعض الناس قد ترد عليه شبهة أن الصفات متضادة ، أو أن بعض الصفات يضاد بعضها الآخر ، كما في صفة العلو وصفة المعية ، فإن النصوص قد جاء بإثبات علو الله ، كما في قوله : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ فاطر: ١٠ . وجاءت أيضاً بإثبات معية الله للعباد ، وذلك أن المعية على النوعين ، المعية العامة التي من معانيها العلم والإحاطة ، كما في قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد: ٤ . ومعية خاصة بمعنى التأييد ، أو بمعانٍ منها التأييد كما في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الأنفال: ٤٦ . فقد يأتي بعض الناس ويظن أن بينهما تعارضاً ، كيف نصفه بالعلو ثم نقول بأنه مع العباد ؟!. وهذا ناشئ من عدم الفهم الصحيح لدلالة أحد النصين ، فإن المعية لا تقتضي مماسة ، ولا مقاربة ، ولذلك أنت مع المسلمين في جميع بقاع الأرض ، بمعنى أنك تؤيدهم ، وتحبهم ، وتدعو لهم ، ولو قال لك قائل : هل أنت مع المسلمين في ذلك البلد البعيد ، أو مع المعادين لهم ؟. فإن جوابك أنك مع المسلمين ، فهل هذا يقتضي مماسة ، أو مقاربة ؟. لا يقتضي .

الأمر الثاني أن بعض الناس قد يترل النص على غير المراد به ، فيظن أنه يخالف مدلول أدلة أخرى من فطرة ، أو عقل ، أو نحوه ، ومن أمثلة ذلك ما قد يقوله القائل بأن إثبات صفة الوجه أو اليدين ، الواردة في مثل قوله : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ الرحمن: ٢٧. ﴿أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص: ٧٥ . يقتضي أن لله أبعاضاً وأجزاءً ، ومن ثم يقول قائلهم : يلزم نفي هذه الصفات . فنقول : كلمة الأبعاض والأجزاء كلمة مجملة ، ولها معانٍ متعددة ، و لم يرد في النصوص في إثباتها ولا نفيها ، فلا يصح أن نترك مدلول النصوص الواضح الصريح من أجل نفي أسماء مجملة لم يأت بنفيها النص .

وأمر آخر أن بعض الصفات قد تتعاضد أدلة متعددة متنوعة على الدلالة عليه ، ومن أمثلة ذلك صفة العلو ، فإن الله تعالى قد أثبت في كتابه صفة العلو لنفسه ، وكذلك جاءت السنة بإثبات هذه الصفة ، وثبت عليه إجماع الأمة في عصور متعددة ، والعقل يدل عليه ، فإن العقل الصحيح يدل على إثبات هذه الصفة ، ولا يعني أن صفة العلو تكون محيطة بالله ﷻ ، لكن صفة العلو غير منتهية أصلاً حتى يقال بأنه محصور فيها ، هي ليست منحصرة ، ثم إن الفطرة تدل عليه ، فهناك داعٍ في النفوس يتوجه إلى جهة العلو كلما ناجت هذه النفوس رب العزة والجلال ، إلى غير ذلك من أنواع الأدلة الدالة على إثبات هذه الصفة .

فَصْلٌ

أورد المؤلف هنا شيخ الإسلام ابن تيمية ~ نماذج من الأحاديث النبوية الواردة في صفات رب العزة والجلالة ، وذلك أن السنة النبوية مصدر من مصادر التشريع ، ومصدر من مصادر تلقي العقيدة ، فإن النبي ﷺ مبلغ صادق ، ولا يتكلم إلا عن وحي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم: ٣ - ٤ . وهو ﷺ لا يقول على الله ما لا يعلم ، وهو ﷺ أعرف بربه منا كما قال : ((أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ)).

ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ وَتُبَيِّنَهُ ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ :

وقد دلت النصوص على حجية السنية النبوية ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ الحشر: ٧ . وقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ الفتح: ٢٩ . فمن مقتضى كونه رسول الله وجوب تصديقه ، والإيمان به ، وتصديق ما ورد عنه ﷺ .

ويدخل في هذا ما يتعلق بأخبار الآحاد ، فإن السنة قد تتعدد طرق رواياتها ، فتكون من قبيل المتواتر الذي يفيد العلم الضروري ، والقطع الجازم ، لأن النبي ﷺ قد قال ذلك .

وقد ترد بطريق الآحاد ، وليس كل خبر آحاد يكون مقبولاً ، لأن أخبار الكذابين والواضعين والضعفاء ليست مقبولة ، ولا يؤخذ منها لا حكم ولا مُعتقد ، وإنما المعول عليه صحة إسناد ، وعدم وجود المعارض للخبر ؛ لنسلم من الشذوذ والنكارة في الأخبار ، فإذا كان الخبر صحيحاً فإنه يفيد العلم والجزم والقطع ، على الصحيح من أقوال أهل العلم إذا كانت السنة ولو كان من رواية الآحاد ، ويدل على ذلك دلائل كثيرة ، منها أن الله تعالى قد ضمن حفظ هذا الدين ، ومن مقتضى ذلك أن يحفظ الله مصادر هذا الدين ، ومنها

سنة النبي ﷺ ، بحيث لا يمكن أن يوجد كذبٌ في الأحاديث لا يُعرف أنه كذب ، قد يوجد الكذب لكن يهيئ الله من يكشف حقيقة هذا الكذب .

والدليل الثاني أن سنة النبي عليها من البهاء والضياء والجلاء ما يجعل الإنسان يفرق بينها وبين غيرها من كلام البشر ، ومن الأحاديث المكذوبة ، ولذلك إذا عُرِض على المرء كثير القراءة في السنة والأحاديث الضعيفة يجد في قلبه نكارة لهذه الأحاديث بمجرد عرضها عليه ، ويدلك على هذا أن هذه السنة قد تتابعت عليها جهود العلماء الكُثُر ، الذين يصلون إلى مئات الألوف تمحيصاً لهذه السنة ، وتبييناً لها حكماً على أحاديثها ، وتنقية لها مما ليس منها ، فإذا جاءنا من لا يعرف السنة وشكك فيها قيل : هذا لبعدك . فالذي لا يعرف البيت لا يمكن أن يعرف خفايا ، وهكذا السنة من لا يعرفها ولا يميزها ، ولا يشتغل بها إذا وُجِدَ عنده شك فهذا لكونه بعيداً عنها .

ويدلك على هذا توافق كلام الأئمة في الغالب فيما يتعلق بالحكم على الأحاديث ، وإذا كان هذا اختلاف فهو اختلاف يسير قليل ، فإن قال قائل : ألا تجيزون الغلط ، والخطأ ، والشك على الرواة ؟. قلنا : نجيزه ، لكننا لا نجيز أن يخفى ذلك على الأمة كلها . قد يوجد خطأ لكن لا يمكن أن يخفى .

وإن قال قائل : إننا نجد في الأحاديث اختلافاً في الرواية ، فهذا يرويه بلفظ ، وذلك يرويه بلفظ ، ونحن نجزم بأن النبي ﷺ لم يقله إلا بأحد هذه الألفاظ . قيل : إن كانت هذه الألفاظ متضادة فإن أهل العلم قد محصوها ، وبينوا الراجح من المرجوح ، وتتبعوا أحوال الرواة ، وعرفوا متى يضبط ومتى لا يضبط ، فيقولون : فلان إذا روى عن أهل بلده فروايته مقبولة ، بخلاف ما إذا روى عن غيرهم ، كإسماعيل بن عياش ، وفلان إذا روى في بلده قُبِلَ وإذا روى في غير بلده لم يُقبل ؛ لأنه في بلده كان معه الكتاب كما قالوا في معمرو أنه يقع له أوهام في غير بلده ، إذا ورى في العراق ، وفلان تُقبل روايته إلى سنة كذا لأنه اختلط بعدها . وميزوا من روى عنه قبل الاختلاط ، ومن روى عنه

بعد الاختلاط كعطاء بن السائب ، وغيره . مما يدل على أن الجهود قد تتابعت وتعاقبت على حفظ هذه السنة .

وأما إذا كانت الروايات المختلفة لا تعارض بينها ، فلا شك أن النبي ﷺ لم يقل إلا أحد هذه الألفاظ ، لكن الرواية بالمعنى مما يجيزه جميع العقلاء ، ولا يمانعون منه ، متى ما كانت الألفاظ مؤدية إلى معنى واحد ، ومن هنا فالناس لا زالوا يقبلون ترجمة المعاني من لغة إلى لغة أخرى .

فإن قال قائل : إن بعض هذه الأحاديث غير مقبول عقلاً . فقيل أحد أمرين : إما أنك تظن أن الحديث يؤدي إلى معنى والحديث لا يؤدي إليه ، وإما أن ما ادعيته من عقل عقلٌ فاسد ليس بصحيح ، ومن أمثلة ذلك جاء في الحديث إثبات نزول الله إلى السماء الدنيا ، فقد يقول قائل : هذا يلزم عليه أن يخلو العرش منه . قيل : هذا إنما جاء من فساد عقلك ، لأنك ظننت أن الله مماثل للمخلوق ، وعقولنا لا تحيط بالباري تعالى ، فكوننا لم ندرك كيفية الصفة لا يجعلنا ننفي هذه الصفة ، ونثبتها على مقتضى معناها في لغة العرب .

فإن قال : يلزم عليه أن يستمر نزوله في جميع الوقت ، لأنه ما من وقت إلا وهناك ثلث أخير على جزء من أجزاء الأرض . قيل : ما المانع من مثل هذا ؟ ليس هناك إثبات لا نفي .

فإن قال قائل : إذاً لماذا خصصتم الثلث الأخير ؟. قيل : لأن النبي ﷺ خصه ، فكون عقلك لم يدرك الصفة لا يعني أن تقوم بنفيها .

فإن قال قائل : الأحاديث المؤلف أورد عدداً من الأحاديث الحسنة ، وأنت تعرفون أن أهل العلم يقسمون الحديث إلى : صحيح ، وحسن ، وضعيف ، وضعيف جداً ، وموضوع . فهل يصح أخذ الحقائق من الأحاديث الحسنة ؟. نقول : المؤلف أثبت هذه الصفات باعتضاد أدلة متعددة ، منها هذا الحديث الحسن الذي ذكره ، ولا يمتنع متى ما كان الحديث مقبولاً أن نثبت به الصفة على مقتضى ذلك الحديث .

الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقُبُولِ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ :

فَمِنْ ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ:((يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟)) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلِهِ ﷺ: ((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ)) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلِهِ ﷺ : ((يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ))

.مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلِهِ : ((عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خِيَرِهِ ، يُنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ ، يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ)) . حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَقَوْلِهِ ﷺ :((لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا ، وَهِيَ تَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟. حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ الْعِزَّةِ رِجْلَهُ – وفي رواية : عَلَيْهَا قَدَمَهُ – فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَقُولُ : قَطٌّ ، قَطٌّ)) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ : ((يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : يَا آدَمُ ! فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيُنَادِي بِصَوْتٍ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ)) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلِهِ :((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانَ) .

وَقَوْلِهِ – فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ – :((رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ! تَقَدَّسَ اسْمُكَ ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَاءِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأَ)) . حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ . وَقَوْلِهِ :((أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ فِي السَّمَاءِ)) . حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَقَوْلِهِ :((وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ ، واللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)) . حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ . وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ : ((

أَيْنَ اللهُ ؟. قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ . قَال :مَنْ أَنَا ؟.قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ . قَالَ :أَعْتِقْهَا ؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)). رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَوْلُهُ : ((أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ)) . حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَقَوْلُهُ :((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَلا يَبْسُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلا عَنْ يَمِينِهِ ؛ فإن الله قبل وجهه وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قدمه)) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ :((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ))رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَوْلُهُ ﷺ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ : ((أَيُّهَا النَّاسُ ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبَاً إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعَاً بَصِيرَاً ، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ :((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ ، فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ ، وَمِنْ غَيْرِ لا تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ ، بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ

وذلك لأن المعول عليه في قبول الحديث هم أهل الاختصاص ، ثم ذكر المؤلف عدداً من هذه النصوص ، وفي بعضها تفسير لما في القرآن من آيات

الصفات ، فإن قوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾النحل: ٥١ . هذه فسرها الحديث المتفق عليه : ((فَيُنَادِي بِصَوْتٍ)) . فقد يقول قائل : هذه الأحاديث في بعضها معانٍ لا تليق بالله ، كقوله : حتى يضع رب العزة فيها رجله أو عليها قدمه . كيف يضع الله قدمه في النار ؟. فنقول : ليس هذا هو معنى الحديث ، وفهمك فهمٌ خطأ ، وكون الشيء على النار ليس معناه أنه يدخل فيها .

وفي النظر في نصوص الصفات في السنة النبوية ، من حياة القلوب ، وتعلقها بالباري ﷻ ما يجعل الاتصال بهذه النصوص يزيد إيمان العبد ، فإن قال قائل : إن دراسة هذه النصوص قد تورث الشبهة عند الخلق ، وتوجد عندهم الشكوك فالأولى عدم دراستها ، قلنا : هذا قول خاطئ ، لأن النبي ﷺ تكلم بهذه النصوص بكلام واضح فصل ، وخاطب بها الكبير والصغير ، الذكر والأنثى ، المتعلم وغير المتعلم فدل هذا على أن الخطاب بها خطاب عام للجميع .

وكما تقدم أن في إعادة هذه النصوص وتذاكرها فوائد عظيمة ، وثمرات عديدة ، فالقول باستحباب ترك قراءة هذه النصوص قول باطل .

تكلمنا عن التقعيد العام لنظر أهل السنة والجماعة في مباحث الأسماء والصفات ، ثم تكلمنا عن قواعد التعامل مع النصوص الشرعية كتاباً وسنة ، في مباحث الصفات ، ولعلنا نشير إلى منهجية أهل السنة والجماعة بالنسبة لموقفهم في القضايا الأصولية في قضايا الأسماء والصفات بالنسبة لقضية الفرق .

ونذكر نماذج من القضايا العقدية التي لأهل السنة تميُّزٌ فيها ، من أجل أن نفرق بين طريقتهم وطريقة غيرهم من الفرق والطوائف .

بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ:

ذكر المؤلف هنا ثلاثة أمور : الأمر الأول : وسطية أهل السنة والجماعة . والأمر الثاني : صفات قد يُضن أنها متضادة وليس الأمر كذل . والأمر الثالث : ذكر شيئاً مما يدخل في الإيمان بالله تعالى . فقال ~ أن أهل السنة والجماعة وسط في فرق الأمة ، والوسطية تتضمن ثلاثة أمور : الأمر الأول : الخيرية . فإن الخير وسط بين شرين .

والأمر الثاني : العدل . فهناك لما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾البقرة: ١٤٣ . المراد بهذا أنه خيار عدول .

والأمر الثالث : التوازن بحيث لا يكون هناك انحراف . وليُعلم بأن الوسطية قد يستعملها بعض الناس لتحقيق أغراضهم ومقاصدهم بدعوى كاذبة ليست صحيحة ، وذلك أن بعض الناس عندما يدعو إلى أمر مخالف للشريعة مما ترغبه النفوس المريضة وتهواه قد يسمي ذلك وسطية ، وليس هذا من الوسطية في شيء ، بل هو مضاد للوسطية ، فإن الشريعة قد جاءت الشريعة بإخراج النفوس عن داعية الهوى إلى طاعة الرب المولى ﷻ ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ص: ٢٦ . ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾الجاثية: ٢٣ . ومن هنا فاتباع الهوى ورغبات النفوس ليس من الوسطية في شيء ، والوسطية تكون بموافقة مدلول النصوص الشرعية ، فقد يكون هناك طائفتان

منحرفتان في باب انحرافاً متقارباً ، فيُظن أن الوسطية أن يكون الإنسان بينهما ، وليس الأمر كذلك ، ومثال هذا هناك طائفة أنكرت جميع الصفات ، وهناك طائفة أثبتت سبع صفات ، فهل الوسطية أن أثبت ثلاث صفات ونصف ؟!. هذا ليس بوسطية ؛ أنت نظرت إلى طائفتين منحرفتين انحرافاً متقارباً في هذا الباب ، ومن ثم هذا ليس الوسط المطالب به شرعاً .

كذلك قد يظن بعض الناس أن المراد بالوسطية التسهيل والتخفيف على الناس ، فيقال : الوسطية تسعى إلى تحقيق مصالح الخلق ، ولو كان بتكليف العباد ببعض الواجبات ، إذ ليس من العقل ، ولا من الديانة ، ولا من المروءة أن يترك العبد مصالح نفسه من أجل دعوى التخفيف على الناس . ومن أمثلة هذا شخص ينام الضحى ، يقول له القائل : لِمَ ؟. فيقول : أريد أن أخفف على نفسي وأسهِّل عليها . قلنا : ليس هذا هو تخفيف وتسهيل ، هذا هو إلقاء النفس في الهلكة . لأن عمل الإنسان ودأبه في مصالح آخرته ودنياه هو التسهيل الحقيقي ، الجالب لمصالح الدنيا والآخرة .

كذلك قد يظن بعض الناس أن من معنى الوسطية المداهنة في المعتقد ، أو في الدين ، فتجده يتنازل عن أحكام شرعية باسم الوسطية ، وهذا ليس من الوسطية في شيء ، بل هذا هو التخاذل ، وهذا هو اتباع رضى الناس في سخط الله ، وانظر إلى فعل النبي ﷺ عندما عرضوا عليه ما عرضوا من متاع الدنيا ، من رئاسة ، وملك ، ومالٍ ، ونساء من أجل أن يترك طريقته ، فلم يستجب لذلك ، ولهم يقل : هذه إمكانات سآخذها وأستغلها في الدعوة إلى الله ، ولو أسقطت جزءاً من الأحكام التي أدعو إليها .

فالمقصود أن نحذر من استعمال بعض الناس لمصطلح الوسطية في غير المقصود الشرعي ، وترتيب بعض المفاسد على هذا بإسقاط الأحكام ، أو الدعوة إلى إلغاء هذه الأحكام .

وأنا أضرب لذلك مثلاً فاسمع لوصف الله للمنافقين : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾النساء: ١٤٣. لأنهم يقولون : نحن وسط ، نريد أن نرضي المسلمين ، ونرضي الكفار . ولكن هذا لا ينفعهم عند الله رب العزة والجلال ، وانظر إلى قوله : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾آل عمران: ٧٢ . يقولون : نريد أن نكون وسطاً ، نكون مع طائفة في الصباح ، وطائفة أخرى في المساء ؛ حتى نكون مع الجميع ، ويحبنا الجميع ، ونكون مقبولين عند الجميع . فلم ينجهم هذا عند الله ، و لم يصبحوا بهذا الفرقة الوسط ، بل أصبحوا فرقة الكذب والنفاق .

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ :

لأن أهل الصفات على نوعين : فمنهم من ينفي الصفات ، أو ينفي بعضها . فهؤلاء هم النفاة ، فعندنا صفات مثبتة في النصوص ، وصفات منفية في الصفات ، فغلت طائفة في النفي فنفت الجميع وهؤلاء غلاة ، وغلى آخرون في الإثبات فأثبتوا الجميع وهؤلاء غلاة ، وقد يكون الغلو بالتمثيل والتشبيه ، تمثيل صفات الله بصفات المخلوق ، أما أهل السنة فساروا على مدلول النصوص إثباتاً ونفياً ، فأصبحوا هم الوسط .

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ ﷻ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ :

الجبرية يقولون : ليس للعبد فعلٌ ، وكل هذه الأفعال منسوبة إلى الله . فذهابك وإيابك من الله ، الله الذي فعله فهذا من الله وليس ذهابك ، ولذلك قالوا بأن الإنسان في الحياة مثل الورقة في مهب الريح ، ليس له اختيار ، ولا إرادة ، ولا فعل ، حتى قيل لهم : إن الله قد نسب الأفعال للعباد ﴿ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ

﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾الأعراف: ٤٣ . قالوا : إنما يُنسب للعبد لأنه كسبُهُ . فإذا قيل لهم : ما كَسْبُهُ ؟. قالوا : فعلٌ لله تعلق بالعبد . كيف يكون كسباً للعبد وفعلاً لله ؟!. إذا قلت بأنه فعل الله فلا حقيقة لأن تقول : كسب العبد . ولذلك قالوا : ثلاثة لا حقيقة لها : كسب الأشعري ، وأحوال أبي هاشم ، وطفرة النظَّار .

وفي المقابل هناك القدرية ، الذين ينفون تعلق فعل العبد بالله ، فيقولون : هذا الفعل من العبد ، لم يخلقه الله ، و لم يشأه الله .

وكلاهما قول فاسط خاطئ ، بل هذا الفعل فعل العبد ، لكنه واقع تحت مشيئة الله وخلقه ، فالفعل فِعْلٌ للعبد وخلقٌ لله ، وبهذا تجتمع النصوص ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصافات: ٩٦ . أثبت أن للعباد أعمالاً ، منسوبة إليهم ، والأصل في الكلام الحقيقة ، وأثبت أن هذه الأعمال مخلوقة لله تعالى ، فالمعتزلة نظروا إلى عمل العبد فأثبتوا فعل العبد لكنهم نفوا خلق الله له ، والجبرية أثبتوا عموم الخلق ونفوا فعل العبد ، وأهل السنة أثبتوا الأمرين .

لماذا وقعت هذه الطوائف في الخطأ ؟. لأن عقولهم ضعيفة وإن ادعوا أنهم أصحاب عقول ، إذ لم تتمكن عقولهم من إدراك الجمع بين كون الفعل فعلاً للعبد ، وكونه مخلوقاً للرب ، ولا تضاد بينهما ، فلما لم تدرك عقولهم ذلك نفى كل منهم جانباً ، وأما أهل السنة فانطلقوا من النصوص ، فاستوعبت عقولهم ذلك ، و لم تر فيه نكارة ، فالله الخالق القادر على كل شيء لا يعجزه مثل هذا .

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ :

هم وسط بين المرجئة والوعيدية ، فالمرجئة يخرجون الأعمال من مسمى الإيمان ، وهم على طوائف مختلفة ، ومراتب متعددة ، فمنهم من يقول :

الإسلام هو المعرفة ، فمن عرف الله فهو مسلم . وهذا قول شنيع ، يلزم عليه أن إبليس مسلم والعياذ بالله ، لأنه يعرف الله .

ومنهم من يقول : تصديق بالقلب فقط . ومن هنا وقعوا في ضلال في هذا الباب ، وبالتالي قالوا : لأن العبد يكون مؤمناً منذ ولادته إذا كان سيموت على الإيمان .

شخص حارب الإسلام والمسلمين ستين سنة ، يقولون : ما دام أنه مصدق بالله وبرسله فإنه مؤمن . كيف يكون مؤمناً وهو يأتي بنواقض الإسلام ؟. قالوا : فإذا أسلم بعد ذلك تبينَّا أنه كان مسلماً منذ ولادته . كيف كان يحارب الله ورسوله يكون مسلماً في وقت محاربته لله ورسوله ؟!.

إذاً المرجئة المراد بهم من يؤخر ويرجئ العمل عن مسمى الإيمان ، فيصححون الإيمان ولو لم يكن معه عمل ، ولا يدخلون العلم في مسمى الإيمان ، والله تعالى قد ذكر في كتابه الإيمان ، وأدخل في مسماه العمل الصالح ، قال الله : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ البقرة: ١٤٣. أي : الصلاة التي صلوها تجاه بيت المقدس . وقال النبي ﷺ : ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، أَعْلاهَا قَوْلُ : لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ . وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ – هذا عمل – وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)) . وهذا من أعمال القلوب .

وقد جاءت النصوص بأن العبد قد بسبب عمل فعله ، وقد يكفر بسبب قول قاله ، قال تعالى : ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ التوبة: ٦٥ – ٦٦. وقال تعالى : ﴿قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ التوبة: ٧٤ . فدل هذا على أنه يكفر بسبب العمل ، ويكفر بالقول ، وأن هذه ليس الكفر لأن هذه الأفعال دالة على الاعتقاد لا ، هو يكفر بذات الفعل ، .

ودلت النصوص على أن العبد قد يكون مؤمناً في وقت ، وكافراً في وقت ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾النساء: ١٣٧ .

وفي مقابل هؤلاء الوعيدية ، وهم الذين يكفِّرُون بالذنوب ، والكبائر ، من الخوارج والمعتزلة ، فيقولون : صاحب الكبيرة في نار جهنم ، خالداً مخلداً . فبعضهم يقول : هو كافر . وبعضهم يقول : هو في منزلة بين المنزلتين . وهذا خلاف لفظي بينهم ، وإلا فحقيقة قولهما واحدة ؛ لأنهم يجعلونه خالداً مخلداً في نار جهنم .

ترتب على هذا اشتراك الطائفتين في بدع مشتركة ، من تلك البدع مثلاً إنكار الشفاعة ، فإن الوعيدية يقولون بإنكار الشفاعة ؛ لأن أصحاب الكبائر في نار جهنم خالدون فيها ، والمرجئة يقولون : أصحاب الكبائر إلى الجنة مباشرة ، لا يضر مع الإيمان ذنب ، ومن ثم لا يحتاجون إلى شفاعة . ومن هنا اشتركوا في بدعة نفي الشفاعة ، وإن أثبته بعض المرجئة قولاً ، لكنه ينفيه في حقيقة قوله .

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ :

كتسمية : هذا مؤمن ، وهذا كافر ، هذا مبتدع ،وهذا موحد ، وهذا فاسق ، وهذا تقي .

بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ :

بين الحرورية والمعتزلة من جهة لأنهم يسلبون اسم الإيمان من أهل الكبائر ، وبين المرجئة والجهمية الذين يقولون : أصحاب الكبائر كاملوا الإيمان ، إيمانهم كإيمان أبي بكر وعمر ، وكإيمان جبرائيل وميكائيل . أما أهل السنة والجماعة فهم وسط ، فيقولون : هؤلاء مؤمنون فساق . فلم يسلبوا عنهم اسم

الإيمان كما قالت الوعيدية ، و لم يجعلوهم كاملي الإيمان كما قالت المرجئة والجهمية .

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ :

هم وسط بين الناصبة الذين يناصبون العداء للصحابة كلاً أو بعضاً ، وبين أهل الغلو الذين يغلون في بعض الصحابة ، فهم يثبتون أن الصحابة خيار الأمة ، وأن الصحابة أفضل الأمة بعد نبينا ﷺ ، ويثبتون هذا لجميع الصحابة ، وأما الرافضة فلا يوالون إلا نفراً يسيراً من الصحابة ، ويرفعونهم عن مكانتهم ، ويجعلونهم معصومين ، ويقدحون في غيرهم ، والخوارج الذين يتكلمون في الصحابة ويكفرونهم .

إذاً منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسائل التي عرض لها المصنف ، أن منهجه في صفات الله إثبات ما أثبته الله ورسوله لله ، ونفي ما نفياه ، والسكوت عما سكتا عنه ، بدون تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وأما منهجهم في باب أفعال الله فهم يثبتون للعبد الفعل ، ويثبتون الخلق لله تعالى ، ويثبتون للعبد مشيئة ، ويجعلونها تابعة لمشيئة الله ، كما قال تعالى :

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾الإنسان: ٣٠ .

وفي باب الوعيد هم وسط ، لأنهم جمعوا نصوص الوعيد جميعاً ، فقيدوا مطلقها بالنصوص المقيدة ، وخصوص عموماتها بالنصوص الخاصة ، فكانوا قد جمعوا بين النصوص ، و لم يفعلوا كما فعلت الطوائف الأخرى التي احتجت ببعض النصوص وتركت بعضها الآخر ، فإن الوعيدية نظروا لحديث : ((لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) . والمرجئة نظروا لحديث : ((مَن قَالَ : لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ . خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)) . وأهل السنة والجماعة نظروا إلى النصوص جميعاً .

قال : وفي باب الأسماء والدين توسطوا .

فالفاسق ليس كافراً ، وليس مؤمناً كامل الإيمان ، وأما في الصحابة فإن أهل السنة والجماعة يوالون جميع الصحابة ، ولا يفرقون بينهم ، بل كلهم عدول خيار ، كما قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾الفتح: ٢٩. وكما قال تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾التوبة: ١١٧. وكما قال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾التوبة: ١٠٠ . فلم يغلوا فيهم فيرفعوا درجتهم ، ويعتقدوا فيهم أنهم معصومون لا يقع منهم زلل ولا خطأ ، و لم يقصروا في رتبتهم بأن ينسبوهم إلى الخيانة والكفر ، بل هم وسط في هذا الباب يعتقدون أفضليتهم ، ثم إنهم يعتقدون أن هؤلاء الصحابة لهم فضل علينا وعلى الأمة ، لأنهم هم الذين بلغوا الرسالة .

فَصْلٌ

وَقَدْ دَخلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ باللهِ : الإيمَانُ بمَا أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ وَأَجْمعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ : مِنْ أَنَّهُ – سُبْحَانَهُ – فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ كَمَا جمعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾الحديد: ٤. وَلَيْس مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾. أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ:

ثم ذكر المؤلف نموذجاً من نماذج الصفات التي قد يقع الخلط فيها ، نتيجة عدم الفهم لها ، ألا وهي مسألة الاستواء والعلو من جهة في مقابلة المعية ، والقُرب ، فإن النصوص قد دلت على أن الله فوق خلقه ، كما قال سبحانه : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾النحل: ٥٠. وكما قال : ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ السجدة: ٢ . وكما قال : ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾فاطر: ١٠ . إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة ، الدالة على إثبات علو الله ، وكذلك جاءت النصوص بإثبات استوائه على العرش ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾طه: ٥ . ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾يونس: ٣. إلى غير ذلك من النصوص .

فَإِنَّ هَذَا لا تُوجِبُهُ اللّغَةُ :

وفي المقابل جاء عن أهل اللغة تفسير الاستواء بأنه العلو والارتفاع والاستقرار ، وكذلك جاءت النصوص بإثبات المعية لله ، وأنه مع خلقه ، وجاءت النصوص بأن معيته على نوعين :

الأول : معية خاصة . لأهل الإيمان والتوحيد والسنة والإخلاص ، وتكون بالنصر ، والتأييد ، والإعانة ، والظهور على العدو كما في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾النحل: ١٢٨ . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾البقرة: ١٥٣.

الثاني : معية عامة . تكون مع الجميع ، مع المسلم والكافر ، لكنها معية تقتضي العلم ، والإحاطة ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾الحديد: ٤.

هل هناك تنافٍ بين صفة المعية ، وصفة الاستواء ، أو العلو ؟. لا تنافي بينهما ؛ لأن المعية لا تقتضي منافاة العلو ، إذ إن المعية لا تقتضي المخالطة بالمخلوقين ، ولا المماسة لهم ، تقول : أنا معك ، وأنت هناك في آخر المسجد لست بقربي ، ولكنني أقف مؤيداً لموقفك ، ويحزنني ما يحزنك ، ويسرني ما سرَّك . هذا معنى قول : معيتي لك . إذا اقتتلت الطائفتان قلت : أنا مع الطائفة الأولى . وأنت بعيد عنهم بالمسافات البعيدة ، هذه معية خاصة ، لا تقتضي مخالطة ولا مماسة .

فحينئذ لا تنافي بين إثبات المعية سواء الخاصة أو العامة ، وإثبات العلو ، وكذلك لا تناقض بين إثبات القرب ، فإن القرب لا يقتضي مماسة ولا مخالطة ، ومثل لذلك المؤلف بمثال قياسي ، فقال :

بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ .

أي أنه آية ، وهناك مخلوقات أعظم من القمر ، والقمر موضوع في السماء ومع ذلك هو معك ، تقول : سرت مع القمر . هل يقتضي مخالطة أو مماسة ؟. لا يقتضي ذلك ، وهكذا فيما يتعلق بمعية الله .

وتظهر هنا مسألة وهي : هل يصح الاستدلال بالقياس في باب أسماء الله وصفات ، أو لا يصح ؟. المؤلف هنا استعمل قياساً ، فنقول : القياس على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : القياس التمثيلي . وهو الذي تثبت به حكماً لمحلين ، لتماثلهما في المعنى ، سواء كان في القياس الشرعي كما تقول : الغسل طهارة كالوضوء ، فشُرِعَ له البسملة . هذا قياس تمثيلي ، استوت فيه أطرافه وأفراده ، والقياس التمثيلي الذي تتساوى فيه أفراده لا يجوز أن يُستعمل مع الله سبحانه ، لأنها تعالى ليس مِثْلاً شيء من مخلوقاته .

النوع الثاني : القياس الأولوي . وهذا يُمكن أن يُستخدم في حق الله تعالى ، بل إن أهل السنة يقررون قواعد في هذا الباب مأخوذة من النصوص ، مثال ذلك قولهم : كل كمال ثبت للمخلوق ، لا يتطرق إليه النقص بحال فالخالق أولى به . وهذا النوع لا بأس من استخدامه في الصفات ، بشرط التحقق من شروطه وأركانه ، لأنه الباب مذلة .

النوع الثالث : القياس الشمولي . وهو عند الأصوليين يُسمى (العام) وهو اللف العام ، الذي تدخل فيه أفراد كثيرة .

المؤلف في قوله : فإن هذا لا توجبه اللغة . أشار إلى مهمة قضية ، وهي أن الكتاب والسنة نزلا بلغة العرب ، فلا يصح أن نفهم ألفاظ الكتاب والسنة إلا بمقتضى هذه اللغة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾الزخرف: ٣.

وَهُوَ – سُبْحَانَهُ – فَوْقَ الْعَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ .

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ – مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ، وَأَنَّهُ مَعَنَا – حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ

الْكَاذِبَةِ ، مِثْلُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ : ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾. أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ . وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَهُوَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا ، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾الروم: ٢٥ .

هنا قضية ثالثة ، وهي أن النصوص الشرعية لا تُبد أن تُصان عن الظنون الكاذبة ن فإن بعض العباد قد يفهم من نص وارد في صفة أنه يقتضي معنى كاذباً باطلاً فينفيه ، فنقول: هذا خطأ ، لا بد من إثبات ما ورد في النص ، ونفي ما دل عليه الظن الكاذب . ومثال ذلك أن يسمع قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾الملك: ١٦ . فيظن أن المراد بالسماء البناء المحكم السبع السموات ، وهذا ظنٌّ كاذب ، لأن السماوات مخلوق ضئيل ، ولأن رب العزة والجلال لا يمكن أن يحويه شيء من المخلوقات ، بل إنه أكبر فكرسيه وسع السموات والأرض ، وقد ورد أنها فيه : ((كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلاةٍ)) . دائرة حديد أُلقيَت في صحراء كبيرة ، فكيف يقال : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾. يدل على احتواء السموات لله ، تعالى الله عما يقولون .

ومثله أيضاً أن يظن ظانٌّ أن إثبات المحبة كما في قوله : ﴿ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾آل عمران: ٧٦. يقتضي الضعف عند الله ﷻ ، والخور ونحو ذلك ، فهذا ظن كاذبٌ ، ومثله أن يقول القائل : إن الحياء انكسار ، وتذلل ، ونحو ذلك . فهذا من ليس من مدلول الحياء في لغة العرب ، وإنما الحياء الترفع عن الدنيء نُفْرَةً منه .

فَصْلٌ

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ : الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾البقرة: ١٨٦.

وَقَوْلُهُ ﷺ : ((إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)) .

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي نُعُوتِهِ ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ .

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ : الإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ :

ثم تكلم المؤلف عما يتعلق القرآن العظيم ، وهذا ينبني على مسائل :

المسألة الأولى : هل من صفات الله الكلام ؟، وهل يتكلم رب العزة والجلال حقيقة ؟.

قد دلت النصوص على أنه يتكلم ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾النحل: ٥١ . ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾غافر: ٦٠. والذي قال هو الله تعالى .

المسألة الثانية : القول إنما يكون قولاً إذا كان بصوت وحرف .

إذا لم يكن معه صوت فهذا ليس قولاً ولا كلاماً ، وإنما هو خواطر ، أو معاني في النفوس

المسألة الثالثة : هل صفت الكلام بالنسبة لله تعالى أزلية فقط ، بحيث نقول تكلم في الأزل ، ثم لم يعد يتكلم بعد ذلك ؟. أو نقول : يتكلم سبحانه متى شاء ، ويتكلم بما شاء متى شاء ؟.

فإنه قد أخبر أن كلامه وقع بعد شيء من خلق المخلوقات ، قال تعالى :

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾المجادلة: ١. لو قلنا بأن السمع صفة في الأزل ، للزم عليه أن يكون قول هذه المرأة قديماً .

كذلك نؤمن بأن كلام الله بصوت وحرف ، فإنه قد ورد في الحديث : ((إِنَّ اللهَ ﷻ يُنَادِي الْعِبَادَ بِصَوْتٍ ، يَسْمَعُهُ مَن قرُبَ وَيَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ ، وَيَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَن قرُبَ)) . ثم نؤمن بأن هذا القرآن الذي بين أيدينا هو بعينه كلام الله ، فلا نقول : هذا مثل كلام الله ، أو عبارة عنه ، أو حكاية عن كلام ، بل هو بعينه كلام الله ، الذي هو صفة من صفات الله ، وترتب على ذلك أنه غير مخلوق ؛ لأن صفات الله ليست بمخلوقات .

مِنْهُ بَدَأَ :

أي أن الله تكلم به حقيقة ، فهو المبتدئ بالكلام به ، وجبريل ومحمد ^ لم يتكلما به على جهة الابتداء ، وإنما نقلاه وبلَّغاه .

وَإِلَيْهِ يَعُودُ ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً لا كَلامُ غَيْرِهِ ، وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ بِذَلِكَ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً ، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئاً لا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّيًا ، وَهُوَ كَلامُ اللهِ حُرُوفُهُ وَمَعانِيهِ ، لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفِ دُونَ الْمَعَانِي وَلا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ .

أي أن القرآن والكتاب يعود إلى الله ، إما في آخر الزمان عندما لا يكون في الأرض إلا من لا يعبد الله ، فيرفعه الله ، وإلا فإن الأصل أن هذا الكتاب محفوظ باقٍ ، قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾

﴾الحجر: ٩ . وقيل : إن قوله : وإليه يعود . أي إلى قيام الساعة ، يحاج بين يدي ربه عن أصحابه الذين يقرؤونه ، ويقومون به يصلون آخر الليل . وقيل : يعود إلى الله أجر عامليه وثوابهم .

يبقى عندنا ما كُتِبَ من هذا القرآن في الصحف كله كلام الله ، وما تُلِيَ كله كلام الله ، وما سمعته من القرآن فهو كلام الله ، فإن قال قائل : إن الله قد قال عن جبريل : [بقول رسول] . أي أنه قول جبريل . قلنا : قال : رسول . مما يشعر بأنه مجرد مبلغ له ، والعادة جارية بأن الكلام يُنسب إلى المتكلم به ابتداء ، ولا يُنسب إلى الناقل . إذا جاءوا في الأخبار ، وسمعت المذيع يتكلم ويقول : قال فلان كذا وكذا . هل يصح لك أن تنسب هذا القول للمذيع ؟. لا ، فالمذيع مجرد مبلغ .

أيهما كلام الله هل هو الحروف أو المعاني ؟. الجمع كلام الله الحروف والمعاني ، وليست المعاني التي فهمها السامع ، بل المعاني التي أرادها المتكلم .

هل في إثبات كون القرآن كلام الله حقيقة مضادة للنصوص ؟، أو إثبات للنقص لله ؟، أو تناقض وتضاد ؟. لا والله ، بل إثبات كون الله ﷻ قد تكلم هذا الذي فيه إثبات الكمال لله .

فإن قال قائل : هذا يتضمن تشبيه الله بالمخلوقات المتكلمة ؟. قيل : ونفي الكلام يقتضي بالجمادات الناقصة ، ولا شك أن الكلام والمكلم أعلى من غير المتكلم .

فإن قال قائل : هذا يلزم منه بأن قولك في صفة الكلام أنه يتكلم متى شاء يلزم منه حلول الحوادث بالله . قيل : هذا مصطلح لا نعرفه ، لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، لا إثباتاً ولا نفياً ، ومن ثَمَّ لا يصح أن نجعل مثل هذه الجمل وهذه الألفاظ هي الحاكمة على النصوص ، بل نجعل النصوص هي الحاكمة

على غيرها ، ثم إن هذه الكلمات تحتمل معاني حق ومعاني باطل ، ومن ثَمَّ لا بد من تجلية المراد بها لنحكم عليه هل هو حق أو باطل .

فإن قال قائل : إذا أثبتنا أن الكلام قديم أثبتنا أن القُدَماء كثر . قلنا : صفة الكلام ليست قائمة بنفسها ، وإنما هي تابعة للمتكلم ، ومن ثمَّ لا يلزم من ذكرتموه من تعدد القدماء . إلى غير ذلك من شبهاتهم التي يوردونها ، ولا قيمة لها حقيقة .

وَقَدْ دَخلَ أَيْضاً فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوَاً لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا يُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ ﷻ .

ذكر المؤلف ما يتعلق برؤية المؤمنين لربهم ﷻ ، كما تواردت النصوص بإثبات رؤية المؤمنين لله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾القيامة: ٢٢ - ٢٣. وقال : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾يونس: ٢٦. حيث فسر النبي الزيادة برؤية الرب سبحانه ، وكان من دعاء النبي : ((أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ)) . وقد قال ﷺ : ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، هَلْ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ ؟)) . الحديث . وقال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾المطففين: ١٥. هذا في الفجار ، فدل هذا على أن الأبرار لا يُحجبون ، وهناك كثيرة متتابعة .

فإن قال قائل : هذا الكلام باطل من أوجه : الوجه الأول أن الله تعالى قال : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾الأنعام: ١٠٣. فيقال : هذا من فهمك الخاطئ ؛

فالنفي هنا ليس للرؤية ، وإنما النفي للإدراك ، والإدراك ليس رؤية مجردة ، بل رؤية بإحاطة ، ونفي الأخص لا يعني نفي الأعم . فالأخص رؤية بإحاطة وهذا أقل ، لا يعني نفي الأعم الذي هو مطلق الرؤية .

فإن قال قائل : إن الله قال لموسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾الأعراف: ١٤٣. قد يقول قائلهم : لن تفيد التأبيد . فيقال : إذا رجعنا إلى أهل اللغة وجدناهم لا يطلقون لن ويريدون بها التأبيد . ولذلك نص أهل اللغة على أن لن لا تفيد تأبيد النفي

.

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه ...

بل إن لن قد تُقرن بلفظ التأبيد ، ومع ذلك لا يشمل هذا الحكم يوم القيامة ، فإن الله تعالى قال : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾البقرة: ٩٥. أي : لن يتمنوا الموت . وقال : أبداً . ثم قال في الآية الأخرى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾الزخرف: ٧٧. فتمنوا الموت ، وطلبوه ، ورجوه مع أنه قد عنهم تمني الموت ، و لم يُقتصر على النفي بلن بل جاء بعدها بأبداً .

فإن قال قائل : إن هذا يقتضي إلحاقه وتشبيهه بالموجودات المشاهدة . قلنا : ونفي رؤيته يقتضي إلحاقه بالمعدومات ، التي لا ... رؤيتها .

وحينئذ في هذه الصفة ، أو نفي غيرها من الصفات إنما جاء من تركيب الظنون الكاذبة على هذه الأدلة ، وليست من مقتضاها .

ما حقيقة مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الرؤية ؟.

أولاً : يقصرون الرؤية على يوم القيامة ، فيقولون : لا يراه أحدٌ في الدنيا .

ثانياً : يقولون : يرونه حقيقة لا مجازاً ، ولا يرون ما يخيل إلى نفوسهم بأنه ربهم ، ويرونه بأبصارهم . لأن هذا هو مقتضى اللغة في فعل الرؤية ، قال : ((**كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوَاً لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ**)) . ويثبتون أن هذه الرؤية

لا يلحق الرائي بها الضرر ، بل يلحقه الخير والصلاح ، ونظرة الوجه ، ويثبتون أن الرؤية متكررة ، فيرون الله في الجنة ، ويرون الله في عرصات القيامة كما يشاء تعالى .

إذاً هذه قضايا أوردناها كنماذج للتعرف على مذهب أهل السنة والجماعة في المسائل العقدية ، وبقية مسائل العقائد يعاملوها على هذا النحو .

فَصْلٌ

والكلام عن شيء من الإيمان بالأمور الغيبية المتعلقة بالآخرة ومقدماها ، وهذه لا مدخل للعقول فيها البتة ، ومبنى الأمر فيها على التسليم ، وقد جاءت النصوص بالثناء على الذين يؤمنون بالغيب ، إذا أخبر الله بشيء قالوا : سمعاً وطاعة . تصديقاً ويقيناً وإيماناً ، بدون شك ولا ريب ولا تردد ، هذا هو شأن أهل الإيمان ، بخلاف شأن المنافقين ، وشأن الكفار ، ولعلنا نعرض إلى هذه الطوائف :

وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكونُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

هذا كله فيما يتعلق بإيمانٍ بغيبيات متعلقة باليوم الآخر ، والقبر ، وأهل السنة والجماعة يقابلون هذا بالتصديق ، واليقين ، والإيمان ، والجزم به بلا شك فيه ولا تردد ، فإن الله تعالى قد أخبر بشيء فنصدقه ، ونبيه ﷺ أخبر بهذا فلا يرد على نفوسنا أدنى خلجة شك فيه .

فَيُؤْمِنُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ ، فَأَمَّا الْفِتْنَةُ : فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ : ((مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟، وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟))

ومن هذا ما ذكره المؤلف من فتنة القبر ، والمراد بالفتنة الاختبار ، وذلك أن الرجل يُسأل : ما ربك ، ما دينك ، من نبيك ؟. ولذلك حسُنَ تعليم عوام الناس هذه الأصول الثلاثة ، ومن هنا ألَّف الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الأصول الثلاثة ؛ ليكون منطلقاً لتدريس الناس هذه الأصول التي يُسأل العبد عنها في قبره .

((فَيُثَبِّتُ اللهَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ))

أي : قبل الموت ، وفي الآخرة في قبر هذا هو الصحيح .

((فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : اللهُ رَبِّي ، وَالإِسْلامُ دِينِي ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي . وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ : هَا هَاه لا أَدْرِي))

وفي لفظ : ((الْمُنَافِقِ)) . مما يدل على أن العبد ينبغي به أن يحذر من الارتياب في خبر الله وخبر رسوله ، ويحذر من النفاق ، فإنه يقول :

((سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ . فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلا الإِنْسَانُ ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصُعِقَ))

.

والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفر من حفر النار ، كما قال تعالى عن آل فرعون ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾غافر: ٤٦. فالنار الأولى نار القبر ، قد جات النصوص ثابتة ومتواترة عن النبي ﷺ في إثبات عذاب القبر ونعيمه .

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ ، إِلَى أَنْ تَقُومُ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى ، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ ، وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً:

ذكر يوم القيامة أن الناس يقومون من قبورهم حفاة لا نعال لهم ، عراة لا ثياب عليهم ، غرلاً غير مختونين .

وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ ، وَيَلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ :

يلجمهم العرق بمعنى أنه يصل إلى مواطن كثيرة حتى يصل إلى موطن اللجام في الدواب .

فتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾.

الموازين توزن بها ثلاثة أمور : الأمر الأول : توزن بها أعمال العباد . قال قائل : كيف توزن الأعمال وهي عرض ، والأعراض لا يمكن وزنها ، إنما يكون الوزن للأجسام ؟!. فهذا من ضعف عقل المتكلم بهذا ، لأنه قاس قدرة الله على قدرة نفسه ، فظن أن ما يعجز عنه هو يعجز الله عنه ، وهذا نقص في العقل ، كيف يقاس القادر على العاجز ، وما المانع أن يجعل الله هذه الأعراض أجساداً ، أو أن يجعل الوزن له ما المانع ؟!. وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : ((**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**)) .

كذلك يكون الوزن للعاملين ، كما قال ﷺ عن ابن مسعود رضي الله عنه : ((**تَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِ عَبْدِ اللهِ ، لَهِيَ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُد**)) . فهنا الوزن للعامل ، للمكلف .

وكذلك يكون الوزن للصحائف التي تُسجل فيها الأعمال ، كما في حديث البطاقة عندما يؤتى بعبد بتسعة وتسعين سجلاً ، قد كُتِبَ فيها أعماله ، ثم يؤتى ببطاقة لا إله إلا الله ، فتوضع في الكفة الأخرى . الحديث . وهو في سنن أبي داود .

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ :

وينقسم الناس إلى قسمين :

فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِه :

فيقول : ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ الحاقة: ١٩ . فهذا في عيشة راضية ، والقسم الثاني :

وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ،أوَمِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾ .

من لا يؤخذ كتابه بيمينه . والصواب أنه يأخذه بشماله من وراء ظهره ، فيكون الناس على صنفين : آخذ بيمينه من أمامه ، وآخذ بشماله من وراء ظهره إهانة له .

وبعض الناس يقول : إن العباد يوم القيامة على ثلاثة أصناف : آخذ بيمينه ، وآخذ بشماله ، وآخذ من وراء ظهره . وقد ورد ذلك في سورة الحاقة ، وفي سورة الانشقاق ، في سورة الحاقة ذكر الأخذ بالشمال ، وفي سورة الانشقاق ذكر الأخذ من وراء الظهر ، و لم يجمعهما في محل واحد ، وقد قسم الناس إلى صنفين ، فدل هذا على أن الآخذ بشماله هو الآخذ من وراء ظهره .

وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلائِقَ ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ – كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ – وَأَمَّا الكُفَّارُ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ ؛ فَإِنَّهُ لا حَسَنَاتٍ لَهُمْ وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالَهُمْ فَتُحْصَى ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ عَلَيْهَا .

كم عدد الناس ؟. لا يحصيهم إلا ربهم خالقهم ، يحاسبهم ﷻ كلهم بدون استثناء ، وقد ورد أن ذلك في وقت واحد ، كل منهم يرى أنه لا يُحاسب أحد سواه في ذلك الوقت ، فصفات الله أعلى من أذهاننا ، يحاسب الله الخلائق ، ويخلو بعباده ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ)) .

الكفار عندهم سيئة الكفر ، فتجعل الأعمال باطلة ، قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾الفرقان: ٢٣. لماذا ؟. لأن شرط صحة العمل لم يوجد عندهم ، لم يخلصوا لله ، وليس عندهم إسلام وتوحيد فلم يصح لهم عمل ، فإن قال قائل : يتفاوتون في النار . نقول : نعم ، تفاوتهم بسبب معاصيهم ، فإنهم يؤاخذون على المعاصي ، وتتفاوت درجاتهم بسبب ذلك ، لأن الكفر يزداد بازدياد المعاصي ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾التوبة: ٣٧ .

وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، طُولُهُ شَهْرٌ ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ ، مَنْ يَشْرَبْ مِنْهُ شَرْبَةً لا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدَاً :

ذكر ~ الحوض وأن طوله شهر وعرضه شهر ، قال بعض أهل العلم : إنه دائري . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾الكوثر: ١ . المراد به نهر في الجنة . قيل بأنه هو الذي يصب في الحوض .

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّم ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ،

ذكر الصراط ومرور الناس عليه ، واختلافهم فيه ، ثم قال :

يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوَاً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيَاً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحُفُ زَحْفَاً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ خَطْفَاً وَيُلْقَى فِي جَهَنَّم .

أي أن كيفية المرور على مقدار ما لديهم من إسلام وإخلاص وعمل صالح
.

فَإِنَّ جَهَنَّم عَلَيْهِ كَلالِيبٌ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ :

وهي الحدائد معكوفة الرأس ، تُستخدم لأخذ اللحم ورفعه ، خصوصاً عند طبخ اللحم الكثير غير المقطع .

فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعضٍ ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ .

يوقفون على قنطرة ، مكان متوسط بين الجنة والنار ، فيُقتص لبعضهم من بعض ، كما جاء في الحديث : ((مَا تَعُدُّونَ الْمُفْلِسَ فِيكُمْ ؟. قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ . قَالَ : الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقَدْ ضَرَبَ هَذَا ، وَشَتَمَ هَذَا ، وَأَخَذَ مَالَ هَذَا)) . الحق الأول حق بدني ، والثاني متعلق بالقول ، والثالث متعلق بالمال ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، حتى إذا لم يبق من حسناته شيء أُخِذَ من سيئاتهم فَطُرِحَت عليه فطُرِحَ في نار جنهم ، وتصور نفسك في هذا الموقف ، ويقول النبي ﷺ : ((لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ لأَصْحَابِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) . فيُقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، فمن كان عنده لأخيه مظلمة فليؤدها اليوم قبل ألا يكون درهمٌ ولا دينار .

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ :

والشفاعة المراد بها مخاطبة أحد العباد لله تعالى ؛ لمصلحة أحد من العباد إما في الدنيا ، أو في الآخرة .

والشفاعة لا تكون مقبولة إلا بشرطين : الشرط الأول : إذن الله للشافع .

والشرط الثاني : رضاه عن المشفوع له .

وَلَهُ ﷺفِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ : أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى : فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ : آدَمُ وَنُوحُ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرِيَمُ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ .

الشفاعة العظمى ، التي يكون الناس فيه في الموقف ، تدنو منهم الشمس ، فيرغبون أن يُقضى بينهم إما إلى جنة وإما إلى نار ؛ لما يرونه من هول الموقف ، فيذهبون إلى الأنبياء واحداً وَاحداً فيعتذرون ، حتى يأتون إلى النبي ﷺ ، فيسجد بين يدي الله ، فيفتح الله عليه من المحامد ، ثم يقال له : ((**يَا مُحَمَّدُ ! ارْفَعْ رَأْسَكَ ، اشْفَعْ تُشَفَّع ، وَسَلْ تُعْطَهُ**)) .

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ : فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ . وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ . وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ : فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ . وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلاَّ يَدْخُلَهَا ، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا .

وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامَاً بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْل عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامَاً فَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ .

يشفع مرة أخرى لأهل الجنة ليدخلوا الجنة ، وهناك شفاعات أخرى غير ما ذكر المؤلف تدخل فيها ، منها شفاعته ﷺ لأناس في الجنة لتُرفع منازلهم ، ومنها شفاعته ﷺ لأناس من أهل النار ليُخفف عنهم ، كما ورد في أبي طالب ، فإن النبي يشفع لعمه فيُخفف عنه ، حتى توضع تحت قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه .

الشفاعة ينفيها المعتزلة ،لأنهم يرون أن أهل الكبائر مخلدون في نار جهنم ، وأنهم كفار ، ومقتضى مذهب الأشاعرة والمرجئة نفي الشفاعة ؛ لأنهم يقولون : أصحاب الكبائر كاملو الإيمان ، إيمانهم كإيمان الرسل والملائكة . ويقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب . وكلاهما مذهب باطل ؛ لأن النصوص قد تواترت بإثبات الشفاعة ، فقد أخبر النبي ﷺ : ((أَنَّ مَنْ سَأَل اللهَ لِنَبِيَّهَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ شَفَّعَ اللهُ نَبِيَّهُ فِيهِ)) .

هناك تفاصيل كثيرة لما يكون في يوم القيامة ، أشار المؤلف إلى شيء منها فقال :

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَذْكُورَةٍ فِي الكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنْ الأَنْبِيَاءِ . وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يُشْفِي وَيَكْفِي ، فَمَنْ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ .

والقاعدة في هذا الباب أننا نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة من أحوال يوم القيامة ، فما صح سنجه ، آمنا به ، وجزمنا به ، وأيقنا به ، و لم يقع في نفوسنا أي تردد ، و لم نعرضه لثقافة أمة من الأمم ، ولا لخزعبلات طائفة من الناس ، ولا بما يُسمى بالمعقولات ، ولا التأملات ، ولا غيرها ، وإنما موقفنا موقف المصدق لله ولرسوله ، الموقن بصحة خبرهما .

وَتُؤْمِنُالْفِرْقَةُالنَّاجِيَةُ – أَهْلُالسُّنَّةِوَالْجَمَاعَةِ –
بِالْقَدَرِخَيْرِهِوَشَرِّهِ،وَالإِيمَانُبِالْقَدَرِعَلَىدَرَجَتَيْنِ، كُلُّدَرَجَةٍتَتَضَمَّنُشَيْئَيْنِ :
فَالدَّرَجَةُالأُولَى : الإِيمَانُبِأَنَّاللهَتَعَالَىعَلِيمٌبِمَاالْخَلْقُ ،
وَهُمْعَامِلُونَبِعِلْمِهِالْقَدِيمِ ، الَّذِيهُوَمَوْصُوفٌبِهِأَزَلاً وَأَبَدًا ،
وَعَلِمَجَمِيعَأَحْوَالِهِمْمِنَالطَّاعَاتِوَالْمَعَاصِيوَالأَرْزَاقِوَالآجَالِ ،
ثُمَّكَتَبَاللهُفِياللَّوْحِالْمَحْفُوظِمَقَادِيرَالْخَلْقِ، فَأَوَّلُمَاخَلَقَاللهُالْقَلَمَقَالَلَهُ : اكْتُبْ . قَالَ : مَاأَكْتُبُ؟. قَالَ : اكْتُبْمَاهُوَكَائِنٌإِلَىيَوْمِالْقِيَامَةِ ، فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ، جَفَّتِ الأَقْلامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ . كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾ . وَقَالَ : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾ .

وَهَذَا التَّقْدِيرُ – التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ – يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جَمْلَةً وَتَفْصِيلاً ؛ فَقَدْ كَتَبَ فِي اللوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ . وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكاً ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُقَالُ لَهُ : اكْتُبْ : رِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَعَمَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَهَذَا الْقَدْرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا ، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ .

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ : فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ . وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلا سُكُونٍ إِلا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، لا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لا يُرِيدُ ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ ، مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ إِلا اللهُ خَالِقُهُ –

سُبْحَانَهُ – لا خَالِقَ غَيْرُه وَلا رَبَّ سِوَاهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ، وَلا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، وَلا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ، وَلا يُحِبُّ الْفَسَادَ .

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً ، واللهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُمْ . وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ . وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إرَادَةٌ ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وقُدْرَتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ . وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَيَغْلُوا فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا .

ذكر المؤلف ما يتعلق بالإيمان بالقدر ، والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان ، لا يكون العبد من أهل السنة والجماعة إلا إذا آمن به ، وقد دلت النصوص القطعية على إثباته ، فإن بعض الناس حاول أن يشكك في هذا المعتقد (معتقد الإيمان بالقدر) وذلك لأن عقولهم لم تفهمه ، فأنكروه ، وقالوا بأن النصوص الواردة في القرآن لم يُذكر فيها الإيمان بالقدر ، في مثل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ النساء: ١٣٦ . قالوا : لم يذكر الإيمان بالقدر . وهذا كلام ضعيف ؛ فإن الإيمان بالقدر قد دلت على إثباته نصوص من القرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ القمر: ٤٩. وقد ذكر المؤلف عدداً من الآيات القرآنية الدالية عليه ، وعلى أركانه .

القاعدة الثانية : أن الإيمان بالقدر يشتمل على أركان ، هي الإيمان بعلم الله بالحقائق والوقائع قبل وقوعها ، والإيمان بأن جميع ما في الكون مكتوب في اللوح المحفوظ ، والإيمان بأن الله قد شاء وأراد إرادة كونية كل ما يقع ،وأنه لا يقع شيء إلا بإرادته سبحانه ، والإيمان بأن الله خالق لهذه المخلوقات ، وخالق لأعمالها ، وأنه لا في شيء من المخلوقات إلا بخلق من الله ، وقد دلت النصوص على هذه المراتب ، فمرتبة العلم في مثل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الحج: ٧٠ . ومرتبة الكتاب : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ الحج: ٧٠. ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ الحديد: ٢٢ . وأما مرتبة المشيئة فبمثل قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان: ٣٠. وأما مرتبة الخلق فمثل قول تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الرعد: ١٦ . وقوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ الصافات: ٩٦.

قاعدة أخرى من قواعد القدر أننا نؤمن بالقدر خيره وشره ، وأن الله كما قدَّر الخير قدَّر الشر ، ولكن بينهما فرقٌ من جهتين :

الجهة الأولى : أن الشر لا يُنسب وحده لله . وإنما يُنسب إليه الخير بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ولا ننسب إليه الشر لما جاء في الحديث ((وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْهِ)). والمعنى في هذا هو (المسألة الثانية) أنه لا يوجد في الدنيا شر محض ، والله تعالى خلق ما خلق لأن لها نفعاً في الجملة ، قد يكون هناك مضرة جزئية ، لكن يترتب على ذلك مصلحة كلية ، ونضرب لهذا أمثلة ، فالمرض يُصاب به العباد ليس شراً محضاً ، بل في مصالح ومنافع أعظم من تكفير الذنوب والسيئات ، إذ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ هَمٌّ ولا نصبٌ ولا وصب ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كان كفارة لذنوبه .

الثاني : ظهور عبودية الصبر . وعبادة الصبر عبادة عظيمة الشأن كما

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾الزمر: ١٠ .

الثالث : ظهور عبودية الرضا بالله رباً . فنرضى عن الله أن قدَّر لنا المرض ، ونعلم أنه لم يقدره علينا إلا لمصلحتنا ، وأنه لا يريد بنا إعناتاً ولا سوءاً ولا شراً ، وإنما يريد بنا الخير والإحسان ، وكذلك تظهر عبودية فعل الأسباب بجلب التداوي بإذن الله ، إلى غير ذلك من العبادات في هذا ، ومن الأمثلة أيضاً وجود الكفار ، وكون هؤلاء الكفار عندهم دول كبرى ، وكونهم يعادون الإسلام وأهل الإسلام ليس شراً محضاً ، بل في مصالح عظيمة ، من معرفة نعمة الله عليك يا أيها العبد أن لم يجعلك مثلهم ، وهداك إلى دين الإسلام الذي تسعد به في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك معرفة أن السعادة في الدنيا وفي الآخرة ليست بوجود الأسباب الدنيوية ، فهم عندهم من الأسباب الدنيوية الشيء الكثير ، ومع ذلك لم يسعدوا في حياتهم ، فعندهم من الشقاء والبؤس ما الله به عليم .

وهكذا أيضاً تظهر عبودية الدعوة إلى الله ، بدعوة هؤلاء الأقوام إلى دين الله ، وتعريفهم شرائع الإسلام ، وفضل هذا الدين ، وعظم نفعه في الدنيا والآخرة ، وكذلك تظهر عبودية تمسك الإنسان بدينه ، مع وجود الكيد ، والمكر من هؤلاء الأعداء بصرف الناس عن دينهم ، فعندما يوجد من العبد عبودية الدعوة إلى الله ، والتمسك بالشرع ، ونصيحة المسلمين للتمسك بدينهم مع هذه الحملات الشنيعة بصد الناس عن الدين هذه مصلحة عظيمة ، هكذا أيضاً في إظهار العبودية لله بالتقرب إليه بالعبادات المتعلقة بغير المسلمين ، وأعداء الملة والدين ، سواء فيما يتعلق بمهادنتهم ، أو صلحهم ، أو ما يتعلق بالتفاوض معهم لاستجلاب مصلحة الإسلام والمسلمين ، أو ما يتعلق بجهادهم ، أو ما يتعلق ببذل الأسباب لإبعاد الناس عن شرورهم ، أو ما يتعلق بتمني

دخول أولئك الأقوام في دين الإسلام ، إلى غير ذلك من العبوديات العظيمة التي تظهر بهذا .

حتى في خلق إبليس ليس شراً محضاً ، بل تظهر به منافع كثيرة ، من وجود التجاء من العبد إلى ربه أن يحميه من هذا العدو ، وهذه نعمة عظيمة من وُجِدَت عنده فقد حصَّل خيراً كثيراً ، وهكذا أيضاً نعمة مجاهدة أولياء الشيطان ، ومجاهدة الشيطان في النفس ، وعدم اتباع وساوس الشياطين ، وهكذا أيضاً تقرب الإنسان إلى ربه تعالى بإبعاد عن إغواء الشيطان ، إلى غير ذلك من المنافع والمصالح العظيمة التي تحصل بهذا الأمر .

ومن القواعد المتعلق بالقدر وقد أشار المؤلف إلى شيء منها أنواع التقادير ، فإن الله قد قدَّر في الأزل ما هو كائن ، وما سيكون ، وهذه التقادير تابعة لعلمه ، وكتبها في اللوح المحفوظ ، ثم بعد ذلك ... هناك تقدير أمر مرسل به الملك للجنين ، وهناك تقدير سنوي وهو ليلة القدر ، وهناك تقدير يومي ، إلى غير ذلك من أنواع التقادير التي قد جاءت النصوص بإثباتها .

ومن القواعد أيضاً مسألة العلاقة بين المشيئة ، والقدرة ، والعلم ، والإرادة ، وما الفرق بينها ؟. فإنه نتيجة عدم التمييز بين هذه المصطلحات وقع خلط كبير ، ووقعت فتنة وضلال ، فالفرق بين المشيئة والقدرة أن القدرة أعم من المشيئة ، فإن الله يقدر على ما شاء ويقدر على ما لم يشأ ، فهو سبحانه قادر على كل شيء ، لكنه شاء ما سيقع دون ما لم يقع ، فالمشيئة تتعلق بالموجودات وما سيوجد ، والقدرة تتعلق بالموجودات ، وتتعلق بالمعدومات وبغير الموجودات ولو كانت لم تقع .

وأما الفرق بين المشيئة والعلم فهناك فروق كثيرة ، منها أن المشيئة يتعلق بها الأمور الواقعة ، أو الأمور التي ستقع فقط ، بينما العلم يتعلق بالموجودات وما لم يوجد ، فإن الله يعلم ما لا يوجد لو وُجِدَ كيف سيوجد ، لو بقي جدُّك حياً فإن يعلم لو بقي حياً ماذا سيعمل ، بخلاف المشيئة فإنها لا تتعلق إلا

بالموجودات ، ولذلك قال تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾التوبة: ٤٧. هم لم يخرجوا ، ولكن الله يعلم أنهم لو خرجوا ما زادوهم إلا خبالا ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾الأنعام: ٢٨ . بمعنى أنهم لو رُدُّوا إلى الدنيا لعادوا إلى أحوالهم السابقة من الكفر والمعاصي ، هم لن يُردوا ، ولكن الله يعلم أنهم لو رُدُّوا لن يأخذوا بطريق الاستقامة .

والمشيئة سابقة لوقوع الوقائع ، أما العلم فمنه ما هو ما سابق ومنه ما هو لاحق ، فالله تعالى يعلم بما سيقع قبل وقوعه ، وهذا العلم الأزلي السابق ، وهو ﷻ يعلم بالأشياء بعد وقوعها علماً لاحقاً ، قال تعالى : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾المزمل: ٢٠ . وقال : ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾آل عمران: ١٤٢ .

وأما الفرق بين المشيئة وا لإرادة فإن الإرادة على نوعين :

الأول : إرادة كونية . فإن الله قد أراد وقوع الوقائع والحوادث وهذه هي المشيئة . ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾يس: ٨٢ .

الثاني : إرادة شرعية . وهذه الإرادة الشرعية قد يقع المراد فيها ، وقد لا يقع . ومن أمثلة الإرادة الشرعية قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥. وقوله : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾النساء: ٢٧ .

من القواعد المتعلقة بالقدر أن خلق الله شامل لجميع المخلوقات ، فلا يوجد شيء في الدنيا من المخلوقات إلا والله خالقه ، ليس له أحد خالق سواه ، ومن هنا لا يصح أن تقول : إن العبد يخلق فعل نفسه . بل الله خالق له ﴿

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ الصافات: ٩٦ . ومن هنا نعلم أنواع الضلال في هذا الباب ، فإن الفرق على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : قدرية . يقولون بنفي القدر ، وأن العبد يخلق فعل نفسه ، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم ، ومن ثم يقولون : العبد يخلق فعل نفسه ، وليس فعل العبد مخلوقاً لله . تعالى الله عما يقولون

النوع الثاني : الجبرية في مقابل القدريةِ الجبريةُ من الأشاعرة ومن نحا نحوهم ، وهؤلاء يقولون : أفعال العباد منسوبة إلى الله ، فالله خالقها وهو فاعلها ، والعبد لم يفعلها . ولشناعة قولهم قال بعضهم باسم الكسب : فعل المكلف لأنه من كسبِهِ . وإذا سُئِلَ : ما معنى كسبه ؟. قال : لأنه متعلق به ، وليس فعلاً له . ولذا قالوا : الإنسان ليس له إرادة ، ولا يفعل الأفعال بمشيئة منه ولا إرادة ، والصواب في هذا أن نقول : فعل العبد فعلٌ له ، هو فاعل له حقيقة ، ذهابك فعل لك حقيقة ، وجلوسك جلوس لك حقيقة خلافاً للأشاعرة ، وفي نفس الوقت هذا الفعل المنسوب إليك هو خلق لله ، الله خلقك وخلق عملك ، فأثبتنا الجهتين .

يبقى عندنا مسألة أثر الأسباب في القدر ، وهذه مسألة تُشكل على كثير من الناس ، وقد تكون سبباً من أسباب الضلال ، يقول القائل : سأترك التداوي اعتماداً على القدر . والاعتماد على القدر لا يجوز ، وإنما تعتمد على الله هذا أولاً ؛ وذلك لأن القدر يُطلق مرة ويُراد به التقدير الذي هو فعل الله ، ويُطلق مرة ويراد به المقدور ، والمقدور لا يجوز إسناد شيء مما لله إليه .

والأمر الثاني أن العبد يجب عليه أن يسعى في الأسباب ، والسعي في الأسباب مطلوب شرعاً وعقلاً ، أما من جهة الشرع فقد تواترت النصوص بطلب فعل الأسباب ، قال ﷺ : ((تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ)) . هذا أمر بسبب ، وهو الزواج ، والأثر وجود الولد ، فلو قال قائل :

أنا لن أتزوج ، وإذا كان الله سيكتب لي ولداً فسيكتبه لي ولو لم أتزوج . لقيل : هذا مخالف للنصوص ، وللشريعة ، وفي نفس الوقت يخالف العقل .

ما هو أثر الأسباب في القدر ؟. الأسباب جزءٌ من القدر ، ومن ثم لا يقال : هي مؤثرة فيه ، وإنما هي جزء منه . فإن الله يقدِّر أن فلاناً يعمل العمل الفلاني فتحصل له نتيجته ، وأن فلاناً لا يعمله فلا تحصل له النتيجة ، والجميع بقدر ، ومن هنا ينحل بك الإشكال في مثل قوله ﷺ : ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ ، وَيُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)). يقول القائل : الأقدار ووقت الموت مسجل في الأزل ، فكيف تقولون بأن صلة الرحم مؤثرة فيه ؟!. قد يقول القائل : الله قد علم وميز أهل الجنة من أهل النار ، فلماذا نطالب الناس بالطاعة ؟. وهكذا في بقية الأسباب ، فنقول : الشريعة أمرت بفعل السبب ، فأنت تفعله أولاً تقرباً ، وثانياً أن السبب جزء من القدر ، فالله يُقَدِّر أن فلاناً يتزوج فيأتيه الولد ، وأن فلاناً يصل الرحم فيطال في عمره ، وأن فلاناً لا يصل رحمه فيقصر عمره ويقِلُّ ماله ، كما أن الله يقدر نزول المطر ، ويقدر أن السحاب يترل منه المطر ، فلا يقول قائل : لا بد أن نؤمن أن المطر يترل بلا سحاب ، لأن السحاب والمطر كلاهما من أقدار الله . ومن هنا نعلم أن احتجاج بعضهم بالقدر لا يسوغ ، والاحتجاج بالقدر على نوعين : أحدهما : سائغ ، بل مطلوب ، والثاني : محرم ممنوع . أما السائغ فهو الاحتجاج بالقدر على المصائب ، بحيث إذا نزلت بك مصيبة استندت إلى الإيمان بالقدر بالرضا بها ، ولو عاتبك معاتب فإنك تقول : ولكن الله قدَّر ، وما شاء فعلَ . كما في الحديث : ((قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ)) . ومنه احتجاج موسى مع آدم عليهما السلام ، لما عاب عليه إخراج نفسه وإخراج ذريته من الجنة ، فهنا موسى لم يعبه بالذنب ، وإنما عابه بالمصيبة التي هي الإخراج من الجنة ، فاحتج عليه آدم بالقدر ، ((فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)).

النوع الثاني : الاحتجاج بالقدر على المعائد والذنوب والمعاصي . وهذا أمر محرم ، غير جائز ، وفي نفس الوقت لا يفيد العبد ، ولذلك أخبر الله عن المشركين أنهم يقولون : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾النحل: ٣٥ . ثم قال : ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ البقرة: ١١٨ . بمعنى أن هذه الكلمة وهذا الاحتجاج لم يغن عنهم من الله شيئاً ، بل نزلت بهم العقوبات في الدنيا ، مع ما ينتظره من سوء المآل يوم القيامة ، ومنه احتجاج إبليس ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾الحجر: ٣٩. و لم ينفعه هذا الاحتجاج .

وكما أن الاحتجاج بالقدر قد تواترت النصوص الشرعية على أنه غير مقبول ، ولا يفيد صاحبه ، يدل العقل على هذا المعنى من جهات :

أولاً : أن الغيب والقدر أمر خفي على العبد ، فكيف يحتج على المعصية بمستقبله بأمر خفي عليه .

ثانياً : أن العباد يُطالبُون بأفعالهم ، ولا يُطالبُون بأفعال الله وأوامره . فأنت مطالب بأداء الطاعة ، أما كونها تُقَدَّر عليك ، أو لا تُقَدَّر عليك فهذا ليس من شأنك ، وإنما هو إلى الله تعالى .

ثالثاً : لو قُدِّر أن شخصاً اعتدى على هذا المحاج بالقدر ، لم يرض منه الاحتجاج بالقدر ، كأن قال له : يا فلانُ ! ما بالك لا تصلي ؟. فقال : ما قدَّر لله أَنِّي أصلي . فضربه ضربة شديدة حتى احمرَّ جلده ، فقال له : لِمَ ضربتني ؟!. قال : لأن الله قدَّر عليَّ أن أضربك ، فكما احتججت بالقدر على تركك للصلاة ، أنا أحتج بالقدر على ضربي لك . قال : هذا ما يُقبل . قال : كذلك جوابك لا يُقبل . أخذ منك مئة ريال ، فقلت له : لماذا . فقال : قدَّره الله عليَّ وعليك . هل تقبل هنا ؟. لا يُقبل ، ولا يقبل به عاقل .

إذاً الاحتجاج بالقدر على المعائد ليس من شأن العقلاء ، أما الاحتجاج به في القدر فهذا مفيد ومثمر ، وهذا يجعلنا نشير إلى فوائد الإيمان بالقدر :

1 - أن الإيمان بالقدر يجعل العبد تستقر نفسه ، وتطمئن مهما أصابها من المصائب ، ومن ثم لا تؤثر فيه هذه المصائب ، ولا تعطله عن عمله .

2 - وجود الرجاء عند العبد ، ومن ثم تكون نفسه متفائلة ، ترجو الخير ، وتبذل الأسباب إليه .

3 - أن العباد يفعلون الأسباب المؤدية إلى ما يقصدونه ، ولا يعجزون ، ولا يكسلون .

فَصْلٌ

ثم ذكر المؤلف فصلاً في مباحث الإيمان ، ومباحث الأسماء الدينية :

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ : قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ .

الإيمان قول وعمل كما دلت على ذلك النصوص ، كما في قوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾البقرة: ١٤٣. أي : صلاتكم . وكما في قول النبي ﷺ : ((**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، أَعْلاَهَا قَوْلُ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ . وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**)) . فالأول قول ، والثاني فعل ، وكما سُئِلَ ﷺ عن أي الإيمان خير ؟. فقال : ((**تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**)). فأدخل إطعام الطعام وإقراء السلام في الإيمان ، وقال : ((**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**)) .

وكذلك أدخل في مسمى الإيمان التروك ، كما في قوله : ((**وَاللهِ لا يُؤْمِنُ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**)) . أي : شروره وغوائله . وكما قال تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾النساء: ٦٥

.

إذاً الإيمان مركب من أقوال وأفعال واعتقادات ، فهل العمل شرط كمال في الإيمان ، أو شرط صحة ؟. هذا السؤال خطأ ؛ لأن العمل ركن في الإيمان وليس شرطاً ، لأن الشرط يكون خارج المشروط سابقاً له ، فالوضوء شرط في الصلاة ولا يكون جزءاً من الصلاة ، بل هو خارج عنها ، سابق لها ، بخلاف الركوع ، فالركوع جزء من الصلاة ، فيكون ركناً فيها ، هكذا الأعمال ركن في الإيمان وليست شروطاً ، لا شرط صحة ولا شرط كمال ، وإنما هو ركن .

وَأَنَّ الإِيمَانَ : يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ .

من قواعد أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالإيمان أنه يزيد وينقص ،

يزيد بالطاعة قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾الأنفال: ٢. وهذا يجعلنا نبحث في أسباب زيادة الإيمان ، ونبذل الأسباب المؤدية إليه .

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ ، بل الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

من قواعد أهل السنة في هذا الباب عدم تكفير أهل الذنوب والمعاصي ولو كانت كبائر ، فإن النصوص قد دلت على عدم كفرهم ، ومن تلك النصوص قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾المائدة: ٣٨. السرقة كبيرة ومع ذلك لم يأمر بقتل السارق باعتبار أنه مرتد ، وإنما أمر بقطع يده ، فدل هذا على أنه مسلم ، ومثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾النور: ٤. وقوله : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾النور: ٢

. ولو كان مرتكب الكبيرة لما اكتفى بالجلد .

وَلا يَسْلِبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الإِيمَان بِالْكُلِّيَّةِ ، وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَة ، بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾النساء: ٩٢. وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ

الْمُطْلَقِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾الأنفال: ٢ . وَقَوْلُهُ ﷺ : ((لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يُسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) . وَيَقُولُونَ : هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ . فَلا يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ ، وَلا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الاسْمِ .

الفسق هو الخروج عن الطاعة ، والملي لا زال باقياً على دين الإسلام ، وهذا لا زال على اسم دين الإسلام ، ما حكم ؟. في الدنيا هو مسلم له أحكام المسلمين ، لكنه ليس عدلاً ، فلا يأخذ أحكام أهل العدالة ، وأحكام أهل الإسلام أنه يصلي ، ويُصلى عليه ، ويُصلى خلفه ، ويُعطى من الزكاة إن كان فقيراً ، ويرث ويورث من قِبَلِ قرابته المسلمين ، لكن أحكام العدالة لا تثبت له ، فلا تُقبل شهادته ، ولا يؤتمن على مال ولا ولاية .

اسم الإيمان في النصوص الشرعية يُطلق على أربعة معانٍ :

الأول : إطلاقه ويراد به الإيمان الكامل ، المستجمع لخصال الإيمان .

ومن هذا الإطلاق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾العصر: ٢ – ٣. وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝ ﴾غافر: ٥١. ومنه قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ ﴾النساء: ١٣٦. أي : استكملوا خصال الإيمان .

الثاني : المقدار المجزئ . الذي لا يأثم الإنسان بغيره ، بأداء الواجبات وترك المحرمات ، ولو كان عنده مكروهات ، أو ترك لمستحبات ، ولعل هذا أيضاً

يدخل فيه النصوص الواردة بالثواب المرتب على الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾مريم: ٩٦ . ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾البينة: ٧ . ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾غافر: ٥١ .

الثالث : إطلاقه على ما يكون بحسب الظاهر . فيشمل المؤمنين والمنافقين ، فإن المنافقين يُخاطَبُون بالأوامر الموجهة للمؤمنين ، في مثل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾الجمعة: ٩.

الرابع : إطلاق لفظ الإيمان على مطلق الإيمان . أي جزء من الإيمان ولو كان فيه نقص ، وتركٌ لواجبات ، ومن أمثلته قوله ﷺ عن يوم القيامة : ((فَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ)).

والنصوص التي ذكرها المؤلف من مثل قوله تعالى : ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ . وهذا من مُطلق الإيمان ، فلو أعتق فاسقاً عاصياً في رقبة اليمين الواجبة عليه أجزأه ذلك .

وقوله : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ . المراد به المعنى الأول وهو الإيمان المطلق ، وقد يُراد به المعنى الثاني الذي يُقتصر فيه على الواجب .

وقوله : ((لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ))نفي الإيمان هنا المراد به الأول والثاني .

فَصْلٌ

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : سَلامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الحشر: ١٠ .

وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : ((لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي . فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبَاً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ)) . وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ .

ذكر المؤلف هنا معتقد أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بصحابة رسول الله ﷺ ، ومجمل هذا الاعتقاد مرتب على أن الصحابة لهم مزية ليست لغيرهم ، فوجب علينا تجاههم ما لا يجب مثله تجاه غيرهم ، وذلك لأمور :

أولاً : أن النصوص الشرعية قد وردت بفضل هذه الطبقة (طبقة الصحابة) وأثبتت لهم حقوقاً ، فوجب علينا أن نصدق بمقتضى هذه النصوص ، وأن نعمل بناء عليها ، قال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٠٠﴾﴾ التوبة: ١٠٠ .

ثانياً : أن هؤلاء الصحابة قد شرفوا بشرف صحبة محمد ﷺ ، وهذا يثبت لهم حقاً ومزية ليست لغيرهم .

ثالثاً : أن هذا الجيل هو الذي نقل لنا أحوال النبي ، وأقواله ، فله فضل علينا بنقل العلم إلينا .

رابعاً : أن هذا الجيل قد بذلوا من أنفسهم ، ومهجهم ، وأموالهم ما استحقوا به رتبة التقديم ، مع ضعف الإسلام في ذلك الوقت ، وقلة ناصره ، وهذا يوجب عدداً من الحقوق لهم أولها : عدم إيذائهم إما بسبهم ، أو بجعل

القلوب تحملاً غلاً عليهم . وثانيها : ما لهم ؟. أن ندعو لهم ، وأن نثني عليهم ، وأن نذكره بأحسن صفاتهم . قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ﴾الحشر: ١٠ . أي : المهاجرين والأنصار . ﴿ ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾الحشر: ١٠. ومن هنا فنحن نتقرب إلى الله ﷻ بذكر فضائلهم ، ومحاسنهم ، وبِتَعْدَادِ سيرهم ، وقراءة هذه السِّيَر ، وكذلك نتقرب لله تعالى باتباعهم على طريقتهم ، فإن الله قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ ﴾التوبة: ١٠٠. المهاجرين والأنصار ﴿ بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾التوبة: ١٠٠. وقال سبحانه : ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ لقمان: ١٥. وأعظم من أناب إلى الله هم صحابة رسول الله ﷺ .

ومما يتعلق بهم أن نصدق بالنصوص الواردة في فضائلهم ، سواء كانت قد وردت بفضائل آحادهم ، أو بفضائل جملة منهم ، أو بفضائلهم على الجملة ، وقد اعتنى الأئمة بهذا الباب ، وألفوا فيه المؤلفات ، هذا الإمام أحمد كتب (فضائل الصحابة) ، والإمام النسائي أيضاً ، ويجد الإنسان في كتب الأحاديث من الصِّحاح والسنن أبواباً متكاملة في فضل ذلك الجيل .

لكننا لا نعتقد أنهم معصومون ، فالعصمة لا نثبتها لأحد إلا ما ورد في الدليل الشرعي بإثبات العصمة لهم ، وورود الخطأ من العبد لا يجيز القدح فيه ، أو السب له .

ما يُنسب إلى الصحابة ﷺ من قدح وسب لا يخرج عن أربعة أشياء :

الأول : كذب لا تصح نسبته إليهم .

الثاني : مسائل توهم المتوهم أنها خطأ منهم ، وليست كذلك بل هو صواب ، فيقدح فيه لأنه فعل الفعل الفلاني ، وهذا الفعل ينبغي أن يُثنى عليه بسببه .

الثالث : أفعال أخطئوا فيها لكنهم معذورون ، لأن هذا مبلغ اجتهادهم ، وإذا كان الحاكم إذا اجتهد وأخطأ له أجر واحد ، فمن باب أولى هؤلاء الصحابة .

الرابع : ذنوب ، لكن هذه الذنوب لا توجب خروجهم من الملة ، ولا تسقط فضيلتهم ، وفضيلة صحبتهم للنبي ﷺ ، وعندهم من الفضائل ما يفوق هذه الذنوب والمعاصي .

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ : أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ – وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ – وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ : أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ – وَكَانُوا ثَلاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ – : ((اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)) .وَبِأَنَّهُ لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ، بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ .

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالْعَشَرَةِ ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ .

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ ﷺ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ } بَعْدَ اتِّفَاقِهِمَا عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ ، فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ ، وَسَكَتُوا ، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا ، وَلَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ

أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيٍّ . وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ – مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ – لَيْسَت مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَلَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا هِيَ مَسْأَلَةُ الْخِلافَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلافَةِ أَحَدِ هَؤُلاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ .

ومما يتعلق بهذا أن نؤمن أن الصحابة ليسوا على رتبة واحدة ، بل متفاوتون في الرتبة ، فهناك مهاجرون ، وهناك أنصار ، وهناك من شهد بدراً ، وهناك من أسلم قبل الفتح ، ومن أسلم بعد الفتح ، فهذا تفضيل بحسب الصفة .

وقد يكون تفضيلاً بالأسماء لورود النص بالتفضيل ، نقول : فلان أفضل من فلان من الصحابة لورود النص بهذا . وقد أشار المؤلف إلى مسألة التفضيل بين الصحابة وبين الخلفاء الراشدين ، وقال أن هناك خلط من بعض الناس بين الترتيب بين الخلفاء في الفضيلة ، وبين الترتيب بينهم في الخلافة ، فإن الترتيب بين الخلفاء في الفضيلة بأن يقال : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي . لكن من قال بتفضيل على عثمان قلنا : أخطأ . لكن المسألة ليست قاطعة ، ولذلك لا نؤثمه ، ولا نقدح في معتقده ، بخلاف من قال بإنكار خلافة أحد من هؤلاء الخلفاء ، كما لو قال : عثمان ليس خليفة ، ولا نقر له بإمامة المسلمين . فهذا ضلال ، لأنه قد وقع الإجماع على صحة خلافته ، الإجماع من الأدلة القاطعة ، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الخلفاء الراشدين الأربعة فهو من أهل الضلالة والبدعة وليس من أهل السنة .

ثم تكلم المؤلف ~ عن آل بيت رسول الله ﷺ ، وأن لهم من الفضيلة ولهم من الحق ما ليس لغيرهم ، فقال :

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خَمّ : ((أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))

.وَقَالَ أَيْضَاً لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ وَقَدْ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ
فَقَالَ :((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ للهِ وَلِقَرَابَتِي)) .
وَقَالَ :((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشَاً ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)) .

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ ﷺ أَمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ ، خُصُوصَاً خَدِيجَةُ < أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ ، وَالصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ < الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ : ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)) .

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنَ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ . وَيَقُولُونَ : إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِئِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِّصَ ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ ، إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ ، وَهُمْ – مَعَ ذَلِكَ – لا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ
وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، لأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو
السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُم ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبَاً مِمَنْ بَعْدَهُمْ ، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاءٍ فِي الدُّنْيَا كَفَّرَ بِهِ عَنْهُ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهِ مُجْتَهِدِينَ ، إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ ، ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، وَالْهِجْرَةِ ، وَالنُّصْرَةِ ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ ، لا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلَهُمْ ، وَأَنَّهُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ .

وقد جاءت النصوص بإثبات أحكام لأهل البيت النبوي يخالفون بها غيرهم ، ومن هنا مثلاً مُنِعُوا من أخذ الزكاة ، لأن الزكاة أوساخ الناس ، فلا تحل لمحمد ولا لآل محمد .

والواجب تجاههم محبتهم ، وولايتهم ، والحرص على صلاحهم ، وكونهم ممن يُقتدى بهم في الخير ، وليس معنى هذا أن آل البيت النبوي معصومون ، فإننا لا نثبت العصمة لأحد إلا بدليل ، ولم يرد بذلك دليل ، وأما ما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال : ((**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، كِتَابَ اللهِ تَمَسَّكُوا بِهِ**)) . ثم قال : ((**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**)) . هذا الحديث في صحيح مسلم ، لكنه لا يعني أن أقوال أهل البيت حجة ، لأنه قال في القرآن : تمسكوا به . ولم يقل مثل ذلك بأهل البيت ، وإنما أمر بحفظ حقهم .

وهناك أيضاً طوائف لهم حقوق خاصة ، تخالف حقوق بقية الناس ، ومن أمثلة ذلك الوالدان لهم حق على الإنسان ليس لغيرهما ، وجيران المرء لهم حق عليه ، وأضياف المرء لهم حق عليه ، ويعظم الحق لطائفتين :

الطائفة الأولى : علماء الشريعة . الذين يبلغون شرع الله ، ويكون من اسباب هداية الخلق ، ويبذلون من أنفسهم ، ولا يقدمون على دين الله رغبة أنفسهم ، ولا أهواءهم ، ولا يقدمون أمر الدنيا على أمر الآخرة ، فهؤلاء لهم من الحق ما ليس لغيرهم ، على المرء أن يتقرب إلى الله بمعرفة منزلتهم ، فإن الله قد أعلى منزلتهم كما قال سبحانه : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١. وقال : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٩. واستشهدهم في مواطن كثيرة ، فقال : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ آل عمران: ١٨ . وحجة الله على العباد تقوم بهؤلاء العلماء ، ويجب الرجوع إليهم في السؤال عن أحكام الشرع ، ولا يقل القائل : نكتفي في ذلك بالأجهزة الحديثة التي تُعَرِّف بالعلم . فإن هذه الأجهزة قد تخدع الإنسان ، وتجعله يترل النصوص على غير محلها ، ويحملها ما لا يراد منها ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ التوبة: ١٢٢ . وقال : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ النحل: ٤٣ . وعند وقوع المدلهمات ، واختلاط المسائل ، وعدم تَوَضُّح الأمور يجب الرجوع إلى علماء الشريعة ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ﴾ النساء: ٨٣. والذين يستنبطونه

هم العلماء ، والواجب على العلماء تبليغ الشريعة ، وعدم المداهنة فيها ، وأن يوضحوا الحق بدليله

الطائفة الثانية : ولاة الأمور . فلهم حق السمع والطاعة ، كما قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾النساء: ٥٩.

وكما قال ﷺ : ((عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ)) .

وكما قال ﷺ : ((اسْمَعْ لإِمَامِكَ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ)).

وجاءت النصوص بتحريم الخروج عليهم ، كما قال ﷺ : ((مَنْ خَرَجَ عَلَى السُّلْطَانِ قِيدَ شِبْرٍ فَمَاتَ ، فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ)).

والواجب على ولاة الأمور النصح للأمة بحماية بيضة الشريعة ، وأن يكونوا قائمين عليها ، حامين لها ، داعين الناس إلى شرع الله ، وأن يكونوا ممن يحرص على استجلاب الخير للخلق .

وقد ذكر المؤلف أيضاً ما يتعلق بالإيمان بكرامات الأولياء فقال :

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاء ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ : الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ . كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا ، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

فإن رب العزة والجلال يجعل بعض الخوارق ، التي تكون خارجة عن المعتاد لبعض أولياء الله ، سواء من العلماء ، أو العُبَّاد ، أو الولاة ، أو التجار ، أو غيرهم ممن يقوم بشرع الله ، ويسير على وفق الشريعة ، فإن الله يعطيهم ما لا يعطي غيرهم ، ويبارك لهم في أمورهم ، وهذا نجده واضحاً جلياً ، فأولئك الذين بذلوا من أنفسهم نجد أن الله يبارك في أوقاهم ، فرغم قلة أوقاهم إلا أهم أنتجوا شيئاً كثيراً ، وانظر إلى أولئك الأئمة الذين أعمارهم قرابة الخمسين أو

الستين سنة عندهم مؤلفات بالآلاف ، فضلاً عما قاموا به في حياتهم من اتصال بالناس ، ووعظٍ لهم ، وإجابة عن أسئلتهم ونحو ذلك ، وهكذا يبارك الله لهم بتفهيمهم المسائل الغويصة في الأوقات القليلة ما يتعجب الإنسان منهم ، وهكذا يجعل الله لهم قبولاً في الخلق ، فتجد بعض الناس في الزمن القصير ينتشر ذِكْرُهُ في الناس ، ويسمعون له ، ويستجيبون لدعوته ، ويقبلون كل ما جاء به ، وإذا نظر الإنسان في علمائنا الأوائل ، ومن أدركناه من العلماء وجدناه شيئاً عجيباً ، فعالِمٌ في مدينة من مُدِن هذه البلاد ينتشر ذكره في الآفاق ، ويسير على دروسه من في مشارق الأرض ومغاربها هذا خارق ، من الأمور التي يتعجب الإنسان منها ، والحديث في ذلك ، وهذا من عند الله تعالى .

وهكذا أيضاً نجد في حال أولئك الذين يضادون علماء الشريعة ، وأولياء الله ، نجد أن الله يترل العقوبات في الدنيا قبل الآخرة ، كما قال ﷺ : ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)) . ومن آذنه الله بالحرب فليبشر بالخسارة في عاجل أمره .

والولاية ليست بالكرامة ، وإنما الكرامات يُعطيها الله لبعض عباده ، وقد يُعطى المفضول ولا يُعطى الفاضل ، وميزان الموازنة هو الإيمان والتقوى كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾الحجرات: ١٣ . وإذا وُجِدَ عند بعض الناس خوارق للعادات لكنهم يخالفون الشريعة فهذه الخوارق ليست كرامات ، بل أحوال شيطانية ، تعينهم الشياطين على أمورهم ليلبسوا على الناس ، ولا يكون المرء ولياً لله تعالى إلا بشرط الإيمان والتقوى ، كما قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾يونس: ٦٢ – ٦٣ .

فَصْلٌ

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنَاً وَظَاهِرَاً ، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ : ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)) . وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ . وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمَاً لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ .

ذكر المؤلف ~ بهذين الفصلين الذين في آخر هذه العقيدة المباركة ، في أولهما ذكر ما يتعلق بالأدلة ،وما يصح الاستدلال به ، وفي ثانيهما ذكر ما يتعلق بمكارم الأخلاق ، وطرائق التعامل مع الآخرين ، فذكر المؤلف في الأدلة أن أدلة الشريعة هي الكتاب ، كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢. وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾المائدة: ١٥ – ١٦. وقال : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ

﴿ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ص: ٢٩. إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب التمسك بهذا الكتاب .

وإذا نظر الإنسان في هذا الكتاب وجده قد بلغ أعلى درجات البلاغة ، مما لم يصل إليه عربي ، وانبهر العرب وهم أصحاب اللغة من هذا الكتاب ، ثم فيه من الحقائق التاريخية ، والحقائق العلمية ما يجعل الناس في كل زمان يكتشفون صحة هذا الكتاب ، ثم قد سلمه الله من التناقض فلا تضاد بين آياته ، ولا تعارض حقيقي بينها ، مما يدل على صدق هذا الكتاب ، وأنه لو كان من عند غير الله لكان فيه اختلاف كثير ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾النساء: ٨٢.

وثانيها سنة النبي ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾الحشر: ٧. وقال : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾النساء: ٨٠ . وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾النساء: ٦٤. وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ ﴾الأحزاب: ٣٦.

وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّين ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُول الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيهِ النَّاسُ مِنَ أَقْوَال وَأَفْعَال بَاطِنَةٍ أَو ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بالدِّين ، وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ ، إِذْ بَعْدُهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ وَانْتَشَرَت الأُمَّةُ .

والنوع الثالث من أنواع الأدلة إجماع العلماء ، فإن العلماء إذا اجتمعوا في عصر من العصور على حكم شرعي فهو واجب الاتباع ، تحرم مخالفته ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

﴿... نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ النساء: ١١٥. وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : ((لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلالَةٍ)). وقد قال تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ النساء: ٥٩. فيه دلالة على حجية الكتاب ، ودلالة على حجية السنة لأن الرد إلى الله هو الرد إلى الكتاب ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى السنة ،وفيه دلالة على حجية الإجماع لأنه قال : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ﴾. فدل هذا على أنه إذا حصل اتفاق ، و لم يكن فيه خلاف ونزاع فإنه يُكتفى بالاستدلال بهذا الاتفاق .

فَصْلٌ

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُون بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَاراً كَانُوا أَوْ فُجَّاراً ، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً . وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)) . وَقَوْلِهِ ﷺ : ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)) .وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانَاً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً)) .

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ ، وَحُسْنِ الْجُوَارِ ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ وَالْخُيَلاءِ وَالْبَغْيِ وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا ، وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدَاً ﷺ ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : ((هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي)) . صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَفِيهِمْ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ ، وَمِنْهُمْ أَعْلامُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى ، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ ، وَالْفَضَائِلِ

الْمَذْكُورَةِ ، وَفِيهِمْ الأَبْدَالُ ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ ﷺ : ((لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومُ السَّاعَةُ)).

نَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ ، وأَلا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمَاً كَثِيراً .

ثم هناك طرائق لفهم هذه الأدلة ، إنما يعرفها علماء الشريعة ، يعرفون أنواع الدلالات ، وأنواع المفاهيم ، وأنواع القياسات ، يقاس على ما في الكتاب والسنة ، وهذه إنما يعرفها علماء الشريعة ، مما يدلك على عظم مكانة علماء الشريعة ، وعظم الواجب عليهم .

وفي المقابل ابتدع الناس أموراً صدوا بها الخلق عن دين الله ، ودعوا الناس إليها ، ومن ذلك على سبيل المثال المنامات ، والأحلام ، إن كثيراً من الناس صدوا الناس عن دين الله باسم هذه المنامات ، فلان رأى وفلان رأى ، وهذه المنامات لا يجوز التعويل عليها في حكم شرعي ، ولا يجوز لإنسان أن يأخذ من منامٍ حكماً شرعياً ، وكم من عداوات حصلت بين الناس بسبب هذه المنامات ، ومن الصحيح أن الرؤية الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوات ، لكن ما يدريك أن الذي شاهدته في منامك من الرؤية الصالحة ؟!. قد يكون من تخبيط الشيطان بك ، ومن وساوسه وإلقائه في نفسك وأنت نائم ، ومن ثم أنت لا تتأكد من صحته ونسبته .

وهكذا أيضاً ما يستدل به بعض الناس ما يدعونه من الإلهام ، ومما يقع في النفس ، وقد يقول قائلهم : حدثني قلبي عن ربي . ويسمونه كشفاً ، وإلهاماً ونحو ذلك ، وقد يكون من وساوس الشياطين ، فإن الشياطين تلقي في قلوب

العباد وساوس ، قال تعالى : ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾الأنعام: ١١٢. فلا يجوز للإنسان أن يعتمد في بناء حكم شرعي على مثل ذلك .

هكذا أيضاً من أسباب الضلال عند كثير من الناس التعصب ، إما لشخص ، او لمذهب ، أو لكتاب ، أو لجماعة أو نحو ذلك ، مما يجعل العبد يترك دلالة النصوص من أجل هؤلاء ، فهذا من أنواع الضلال ، قال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾الأعراف: ٣ . فهى عن اتباع الأولياء بترك الكتاب والسنة ، أوجب اتباع ما أُنْزِلَ ، وكل من دعاء إلى غير الله وإلى غير رسوله فقد دعاك إلى ضلالة .

ومن ذلك تقديس أشخاص ، واعتقاد عصمتهم ، وتقبل ما جاء عنهم ولو عارض النصوص ، فهذا من أسباب الضلال ، ومن أنواع الهوان .

وأما المسألة الأخيرة في مكارم الأخلاق فإن الشريعة مبنية على الخير والإحسان ، والرحمة بالناس أجمعين ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾الأنبياء: ١٠٧. وقال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾النحل: ٩٠. وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾النحل: ١٢٨ . وقال سبحانه : ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾البقرة: ١٩٥. ونصوص كثيرة متتابعة تدل على هذا المعنى .

فالإحسان إلى الخلق مما جاءت به الشريعة ، والإحسان إلى الخلق ليس بتحقيق مرادهم ، والسير على مقتضى ما تهواه نفوسهم ، بل قد يكون من الإحسان إلى الخلق إبعاد الإنسان عن هواه ، وعدم تحقيق مراده ، فكم من

إنسان يرغب فيما يلحق السوء والضرر بنفسه ، انظر إلى أصحاب المخدرات والمسكرات الإحسان إليهم يكون بردعهم عن ذلك ، وأمرهم بالمعروف وإلزامهم به ، ونهيهم عن المنكر وإلزامهم بتركه ، وهكذا في تربية الأولاد ، يتقرب الإنسان بالإحسان إلى أولاده بجعلهم على أكمل الأمور وأتمها ، بما يعود عليهم بالنفع في دنياهم وآخرتهم ، أما ترك الأولاد مع ما تهواه نفوسهم فهذا ليس من الإحسان إليهم ، بل هذا إساءة إليهم .

ومن هذا أيضاً التعامل مع غير المسلمين ، فإننا نتقرب إلى الله بالإحسان إليهم ، ومن أوجه الإحسان إليهم عدم تمكينهم من إضلال الخلق ، وعدم الاستجابة لخططهم ومكرهم لصد الناس عن دين الله ، والوقوف في وجه ذلك وهذا من الإحسان إليهم .

قد يقول قائل : ما حكم الدعاء على الكفار ؟. الدعاء على الكفار إذا كان المرء محسناً به إليهم فهو مشروع ، كيف ذلك ؟!. إذا كان هناك من يصد عن دين الله فتدعو الله بأن يبعد عنه قوته وقدرته ، ولا يمكنه من الاستمرار في إضلال الخلق فهذا من الإحسان إليه ، مع أنه دعاء عليه ، لكنه إحسان إلى ذلك المدعو عليه ، قد تدعو عليه حتى بالموت من باب الإحسان إليه حتى لا يستمر في كفره ، ومضادته لله تعالى ، كما أنك تحسن بذلك إلى من يتوجه إليهم بالضرر والسوء ، فتدعو الله أن يخلصهم من شر من يسيء إليهم ، فهذا من باب الإحسان .

وهكذا أيضاً فيما يتعلق بالدعوة إلى الله ، ندعو إلى الله تقرباً ، ورغبة في رضاه ، وإحساناً لعباد الله ، لا يدعو الإنسان لحظ نفسه ، أو ليكون له مكانة ، أو ليبقى اسمه لا ، يدعو لترتفع درجته عند الله ، لأن الله قد أمره بالدعوة ، ولأنه بذلك يحسن إلى الخلق وقد أُمِرَ بذلك .

فإن قال قائل : ما الموقف الشرعي عند حصول أذية على المسلم من قبل غيره ؟. فنقول : الشريعة قد جاءت ببيان أن الموقف عند وجود أذية من الآخرين عليك لا يخرج من أربعة أمور :

الأول : مقابلة الإساءة بالإساءة . فتعامل من أساء إليك بمثل فعله ، بشرط ألا يكون فعلك معصية في ذاته ، قال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾البقرة: ١٩٤ . فيُشترط ألا يكون هناك زيادة ، ويُشترط أن يكون فعلك على جهة المقابلة ، وألا يكون ممنوعاً لذاته ، ومثال هذا أنه جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : ((أَدِّ الأَمَانَةَ لِمَن ائْتَمَنَكَ ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)) . لا تقل : بما أنه قد خانني فسوف أخونه . لأنه خيانة والخيانة ممنوع منها لذاتها ، ومثله أيضاً لو اعتدى عليكم الإنسان بالسب والقذف ، أو القذف فلا يجوز أن تقابله بمثل فعله هذا ، فهذا محرم لذاته .

الأمر الثاني : الصبر على تلك الأذية . فتصبر وترجو أن تحصل على أجرك في الآخرة ، والصابر أعظم من المكافئ بالشر والسوء ، وإن كان الأول جائز لكن هذا يحصل أجراً عظيماً ، ولذلك وردت النصوص بالترغيب بالصبر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾الزمر: ١٠ .

الأمر الثالث : العفو . فتتجاوز عمن آذاك ، وظلمك تتقرب بذلك لله تعالى ، وإن كنت تبذل الأسباب لإيقاف شره أن يؤذي الآخرين كما آذاك ، فقد قال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣ ﴾الشورى: ٤٣ . وقال تعالى عن الجنة : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤ . وهذا فيه إشارة إلى الرتبة الرابعة ، وهي :

الأمر الرابع : الإحسان . الإحسان إلى من أساء إليك ، وهذه لا يصلها إلا نوادر من الناس ، قال تعالى : ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾المؤمنون: ٩٦ . وقال سبحانه : ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾فصلت: ٣٤ - ٣٥ .

والناظر في سنة النبي ﷺ يجد أكمل الهدي في هذا الباب هو هدي النبي ﷺ ، أساؤوا إليه فلما جاءوا تائبين أحسن إليهم .

وأما موقف أهل الإيمان عند ورود نعم الله عليهم فتكون بأمور : أولها : بالاعتراف بأن هذه النعم من عند الله . والثاني : بحديث اللسان بنسبتها إلى الله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾الضحى: ١١. وثالثها : بعدم استعمال هذه النعم في معاصي الله . ورابعها : في استعمال هذه النعمة في طاعة رب العزة والجلال . وبذلك يحصل الشكر قال تعالى : ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ سبأ: ١٣ . وقال : ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾إبراهيم: ٧.

وأما الموقف عند إحسان الآخرين إليك فيكون بمكافأتهم على إحسانهم ، والدعاء لهم ، وذكر هذا الإحسان عند الآخرين ، قال النبي ﷺ : ((مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفَاً فَكَافِئُوهُ)) . أي : افعلوا له فعلاً مماثلاً لفعله . ((فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ)) .

ومما جاءت به الشريعة في هذا الباب النهي عن التفرق والاختلاف ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾الأنعام: ١٥٩ . وقال سبحانه : ﴿

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾آل عمران: ١٠٣ . وقال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾آل عمران: ١٠٥. .

ومن هنا فكل أمر يؤدي إلى اجتماع الناس وتآلفهم فإنه مأمور به شرعاً ، ومن ذلك الإحسان إلى الخلق ، وترك قدح الناس بعضهم في بعض ، إذا وجدت على أخيك ما يكون مخالفاً لمنهج أو عقيدة فالواجب عليك نصحه وإرشاده ودلالته ، وإذا حذرت الآخرين من الفعل فلا تذكر هذا الفاعل ، حذر من المعتقد الفاسد ليجتنبه الناس .

ومن هنا نعلم أن مما يجمع الناس النصح لكل الفرق ، مع عدم المداهنة بالحق ، يُبين ويُوضح الحق ، ويُعرِّف الناس بدين الله نصحاً للأمة ، وإبعاداً للتفرق والاختلاف .

ومما جاءت به الشريعة في هذا الباب تخصيص أهل الضعف بمعاملة تجبر خواطرهم ، فاليتيم والمسكين والمرأة ، ويُتقرب إلى الله بإلانة الجانب معهم ، قال ﷺ يحرِّج حق الضعيفين المرأة والضعيف .

وفي المقابل حذرت الشريعة من تفاخر الإنسان وتكبره وتعاليه ، يقول النبي ﷺ : ((إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، حَتَّى لا يَفْخَرْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)).

هذه هي صفات أهل السنة والجماعة ، ويجمعها خمس صفات :

الأولى : اتباع النصوص الشرعية ، وعدم تقديم أي شيء عليها ، إثباتاً ونفياً .

الثانية : أنه يعظمون الله ، ويؤلهونه ، ويعلقون قلوبهم به سبحانه رجاء ، وخوفاً ، ومحبة ، وتوكلاً .

الثالثة : أنهم وسط في جميع الأبواب .

الرابعة : أنهم أهل رحمة للخلق ، وخصوصاً أصحاب الفضل والضعف .

الخامس : تحليهم بمكارم الأخلاق .